هارون وتحقيق النصوص، ومعالجة قضاياه

قراءة في كتابه

«قطوف أدبية»

(دراسات نقدية في التراث)

إعداد

عراقي حامد

orekandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

المُقدِّمَة

الحمد لله الذي بدأ تنزيله بـ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ٥﴾ [العلق:1- 5]، والصَّلاة والسلام على خير مَن نطق بالضَّاد، أفصح الناس على الإطلاق، الذي أُوتي جَوامع الكلم، ونزل عليه القرآنُ المُبين، هدى ورحمة وبشرى للمؤمنين، **وبعد...**

فلم يَخُطَّ أحدٌ في التراث العربي سطرًا إلا وللعالم الجليل عبد السلام محمد هارون منَّة عليه، ويندُر أن يتعامل أحد مع المصادر العربية دون أن يستعين بمصدر من تحقيقات هذا العلامة الفذِّ؛ الذي قدَّم للمكتبة العربية عيونًا من التراث مجلَّوة في صورة بهية، وحلَّة قشيبة، وزيَّنها بتعليقات وفهارس دقيقة.

ولقد أردتُ أن نقف على جهود هذا العلَمَ الأشم الجبَّارة، وأن أربط جيلنا بجيلهم المبارك؛ لنستفيد من خبراتهم الواسعة، ولنتعلم من تجاربهم النافعة؛ ولندرس تحقيق النصوص على رُوَّاده، ولنتعلم من دلِّهم وسمتهم وتواضعهم الناطق به أعمالهم، مع ما بذلوه وقدَّموه، قبل أن نتعلم من مصنفاتهم- فكتبت هذا البحث، والذي هو تحت عنوان: «هارون وتحقيق

النصوص، ومعالجة قضاياه، قراءة في كتابه: قطوف أدبية- دراسات نقدية في التراث»، والذي يحمل رقم (121) من أعمال العلَّامة الهُمَام عبد السلام محمد هارون، وهو الأخير من مصنفاته الجليلة النافعة.

وقد قسَّمت- بحول الله تعالى وتوفيقه- البحث إلى أحد عشر مبحثًا:

المبحث الأول: ترجمة يسيرة للعلامة عبد السلام هارون، رأيت من المناسب أن أقدم بها بين يدي هذا البحث، تعرَّضت فيها لمولده ونشأته، والوظائف العلمية التي تقلَّدها، وشَرُفت به، ثم نشاطه العلمي، وبعضٍ مما قدَّم من أعمال عظيمة، وأخيرًا وفاته رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ومصادر ترجمته.

ثم تناولتُ سبب إعداد هارون رَحِمَهُ ٱللَّهُ لهذا السفر الجليل «قطوف أدبية»، ثم بينتُ الامتداد الزمني لبحوثه ومقالاته وإسهاماته العلمية.

المبحث الثاني: تعليم الأستاذ هارون وثقافته.

المبحث الثالث: تقليب كلمة (تراث) مبنى ومعنى.

المبحث الرابع: استنباط منهجه في التحقيق.

المبحث الخامس: أعمال المستشرقين، ورأيه فيهم.

المبحث السادس: صنيع أحمد زكي باشا (1867م - 1934م).

المبحث السابع: نقد هارون لأعمال غيره، وردهم عليه.

المبحث الثامن: ناقدوه، ورد هارون عليهم.

المبحث التاسع: تقييم بعض العلماء والأصدقاء فيما قدَّم من أعمال محققة.

obeikandl.com

المبحث العاشر: من أقواله الذهبية.

واللهُ مِنْ وَرَاء القَصْد، وهُوَ المُوفِّق والهَادِي إلى سَوَاء السَّبيل.

وصلَّى اللهُ على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين

وكَتَبَ

أبو عبد الرَّحْمن

عراقي حامد

المدير العِلْمي لمكتب طريق الهجرتين

للتَّحقيق والبَحث العِلْمي

Erakyhamed55@hotmail.com

obeikandl.com

المبحث الأول: ترجمة العلامة عبد السلام هارون رَحِمَهُ ٱللَّهُ

المولد والنشأة:

ولد عبد السلام هارون في مدينة الإسكندرية في (25 من ذي الحجة 1326هـ، 18 من يناير 1909م)، ونشأ في بيت كريم من بيوت العلم، فجده لأبيه هو الشيخ هارون بن عبد الرازق عضو جماعة كبار العلماء، وأبوه هو الشيخ محمد بن هارون الذي كان يتولى عند وفاته منصب رئيس التفتيش الشرعي في وزارة الحقانية (العدل)، وعمه هو الشيخ أحمد بن هارون الذي يرجع إليه الفضل في إصلاح المحاكم الشرعية ووضع لوائحها، أما جده لأمه فهو الشيخ محمود بن رضوان الجزيري عضو المحكمة العليا.

وقد عني أبوه بتربيته وتعليمه، فحفظ القرآن الكريم وتعلم مبادئ القراءة والكتابة، والتحق بالأزهر سنة (1340هـ،1921م)، حيث درس العلوم الدينية والعربية، ثم التحق في سنة (1343هـ،1924م) بتجهيزية دار العلوم بعد اجتيازه مسابقة للالتحاق بها، وكانت هذه التجهيزية تعد الطلبة للالتحاق بمدرسة دار العلوم، وحصل منها على شهادة البكالوريا سنة (1347هـ، 1928م)، ثم أتم دراسته بدار العلوم العليا، وتخرج فيها سنة (1351هـ، 1945م).

الوظائف العلمية:

بعد تخرجه عمل مدرسًا بالتعليم الابتدائي، ثم عُيّن في سنة (1365هـ،1945م) مدرسًا بكلية الآداب بجامعة الإسكندرية، وهذه هي المرة الوحيدة في تاريخ الجامعات التي ينتقل فيها مدرس من التعليم الابتدائي إلى السلك الجامعي، بعد أن ذاعت شهرته في تحقيق التراث، ثم عُيّن في سنة (1370هـ،1950م) أستاذًا مساعدًا بكلية دار العلوم، ثم أصبح أستاذًا ورئيسًا لقسم النحو بها سنة (1379هـ، 1959م) ثم دعي مع نخبة من الأساتذة المصريين في سنة (1386هـ، 1966م) لإنشاء جامعة الكويت، وتولى هو رئاسة قسم اللغة العربية وقسم الدراسات العليا حتى سنة (1394هـ، 1975م)، وفي أثناء ذلك اختير عضوًا بمجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة (1389هـ، 1969م).

النشاط العلمي:

بدأ عبد السلام هارون نشاطه العلمي منذ وقت مبكر، فحقق وهو في السادسة عشرة من عمره كتاب «متن أبي شجاع» بضبطه وتصحيحه ومراجعته في سنة (1344هـ، 1925م)، ثم حقق الجزء الأول من كتاب «خزانة الأدب» للبغدادي سنة (1346هـ، 1927م)، ثم أكمل أربعة أجزاء من الخزانة، وهو طالب بدار العلوم.

كانت هذه البدايات تشير إلى الاتجاه الذي سيسلكه هذا الطالب النابه، وتُظهر تعلقه بنشر التراث، وصبره وجلده على تحمل مشاق التحقيق، وبعد تخرجه في دار العلوم اتجه إلى النشر المنظم، فلا تكاد تخلو سنة من كتاب

جديد يحققه أو دراسة ينشرها.

ولنبوغه في هذا الفن اختاره الدكتور طه حسين (1363هـ، 1943م) ليكون عضوًا بلجنة إحياء تراث أبي العلاء المعري مع الأساتذة: مصطفى السقا، وعبد الرحيم محمود، وإبراهيم الإبياري، وحامد عبد المجيد، وقد أخرجت هذه اللجنة في أول عهدها مجلدًا ضخمًا بعنوان: «تعريف القدماء بأبي العلاء»، أعقبته بخمسة مجلدات من شروح ديوان «سقط الزند».

وتدور آثاره العلمية في التحقيق حول العناية بنشر كتب الجاحظ، وإخراج المعاجم اللغوية، والكتب النحوية، وكتب الأدب، والمختارات الشعرية.

أما كتب الجاحظ- أمير البيان العربي- فقد عني بها عبد السلام هارون عناية فائقة، فأخرج كتاب «الحيوان» في ثماني مجلدات، ونال عن تحقيقه جائزة مجمع اللغة العربية سنة (1370هـ، 1950م)، وكتاب «البيان والتبين» في أربعة أجزاء، وكتاب «البرصان والعرجان والعميان والحولان»، و«رسائل الجاحظ» في أربعة أجزاء، وكتاب «العثمانية».

وأخرج من المعاجم اللغوية: معجم «مقاييس اللغة» لابن فارس في ستة أجزاء، واشترك مع أحمد عبد الغفور العطَّار في تحقيق «صحاح العربية» للجوهري في ستة مجلدات، و«تهذيب الصحاح» للزنجاني في ثلاثة مجلدات، وحقق جزأين من معجم «تهذيب اللغة» للأزهري، وأسند إليه مجمع اللغة العربية الإشراف على طبع «المعجم الوسيط».

وحقق من كتب النحو واللغة كتاب سيبويه في خمسة أجزاء، وخزانة

الأدب للبغدادي في ثلاثة عشر مجلدًا، ومجالس ثعلب في جزءين، وأمالي الزجاجي، ومجالس العلماء للزجاجي أيضًا، والاشتقاق لابن دريد.

وحقق من كتب الأدب والمختارات الشعرية: الأجمعيات، والمفضليات بالاشتراك مع العلامة أحمد شاكر، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي مع الأستاذ أحمد أمين، وشرح القصائد السبع الطوال لابن الأنباري، والمجلد الخامس عشر من كتاب الأغاني لأبي فرج الأصبهاني.

وحقق من كتب التاريخ: جمهرة أنساب العرب لابن حزم، ووقعة صفين لنصر بن مزاحم.

وكان من نتيجة معاناته وتجاربه في التعامل مع النصوص المخطوطة ونشرها أن نشر كتابًا في فن التحقيق بعنوان: «تحقيق النصوص ونشرها» سنة (1374هـ، 1954م).

فكان أول كتاب عربي في هذا الفن يوضح مناهجه، ويعالج مشكلاته، ثم تتابعت بعد ذلك الكتب التي تعالج هذا الموضوع، مثل كتاب: مقدمة في المنهج للدكتورة بنت الشاطئ، ومنهج تحقيق النصوص ونشرها لنوري حمودي القيسي، وسامي مكي العاني، وتحقيق التراث العربي لعبد المجيد دياب.

أما عن مؤلفاته فله: الأساليب الإنشائية في النحو العربي، والميسر والأزلام، والتراث العربي، وحول ديوان البحتري، وتحقيقات وتنبيهات في معجم لسان العرب، وقواعد الإملاء، ومعجم شواهد العربية، ومعجم مقيدات ابن خلكان.

وعمد إلى بعض الكتب الأصول فهذَّبها ويسرها، ومن ذلك: تهذيب سيرة

ابن هشام، وتهذيب إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي، والألف المختارة من صحيح البخاري، كما صنع فهارس لمعجم تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري في مجلد ضخم.

وخلاصة القول:

إن ما أخرجه للناس من آثار؛ سواء أكانت من تحقيقه أو من تأليفه تجاوزت 120 كتابًا، آخرها هذا الكتاب «قطوف أدبية- دراسات نقدية في التراث العربي» رقم (121) من أعماله رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والذي عشنا معه خلال صفحات البحث من خلال قراءته والنظر فيه؛ لنقف على «هارون وتحقيق النصوص ومعالجة قضاياه).

وقد توَّج عبد السلام هارون حياته بأن نال جائزة الملك فيصل العالمية في الأدب العربي سنة (1402هـ، 1981م)، وانتخبه مجلس مجمع اللغة العربية أمينًا عامًّا له في (3 من ربيع الآخر 1404هـ، 7 من يناير 1984م)، واختاره مجمع اللغة العربية الأردني عضو شرف به.

وظل الأستاذ الكبير يعمل في خدمة التراث في صبر وجلد ينجز بهما الأعمال العلمية المضنية على اختلاف مناحيها وكثرة تشعبها، تمده ثقافة عربية واسعة، وبصر بالتراث، ونَفْس وثابة، وروح إسلامية عارمة تستهدف إذاعة النصوص الدالة على عظمة التراث العربي، وتكشف عن نواحي الجلال فيه.

وإلى جانب هذا النشاط في عالم التحقيق كان الأستاذ عبد السلام هارون أستاذًا جامعيًا متمكنًا، تعرفه الجامعات العربية أستاذًا محاضرًا ومشرفًا

ومناقشًا لكثير من الرسائل العلمية التي تزيد عن 80 رسالة للماجستير والدكتوراه.

وفاته:

توفي عبد السلام هارون في (28 من شعبان 1408هـ، 16 من إبريل 1988م) بعد حياة علمية حافلة، وخدمة للتراث جليلة، وبعد وفاته أصدرت جامعة الكويت كتابًا عنه بعنوان: «الأستاذ عبد السلام هارون معلمًا ومؤلفًا ومحققًا».

رحمه الله رحمة واسعة وأجزل له المثوبة جزاء ما قدم.

من مصادر الترجمة:

- محمد مهدي علام: المجمعيون في خمسين عامًا، مطبوعات مجمع اللغة العربية، القاهرة (1406هـ- 1986م).

- محمود محمد الطناحي: مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي، مكتبة الخانجي، القاهرة، (1405هـ، 1984م).

- محمد خير رمضان يوسف: تتمة الأعلام للزركلي، دار ابن حزم، (1418هـ، 1998م).

- محمد محيي الدين عبد الحميد: كلمة في استقبال عبد السلام هارون، مجلة مجمع اللغة العربية، العدد (25)، القاهرة، (1389هـ، 1969م).

السيد الجميلي: الجيل الثاني أو الطبقة الثانية من المحققين الأعلام، مجلة الأزهر، الجزء العاشر، السنة الثامنة والستون، (1416هـ، 1996م).

obeikandl.com

سبب إعداد هارون لهذا السفر الجليل «قطوف أدبية»

كان لإعداد أستاذنا هارون رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا الكتاب للنشر سببان هما:

السبب الأول:

أنه تلبية لرغبة أحد الناشرين الفضلاء، وهو الأستاذ (شرف حجازي)، الذي رأى في هذه البحوث والمقالات عِقد من اللآلئ منفرط، بحاجة إلى أن يُجمع بين دفتين حفاظًا عليه من الضياع، وحفظًا لهذا الجهد حتى تستفيد منه الأجيال؛ وفي ذلك يقول الأستاذ هارون رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والناظر في كتابي هذا الذي أعددته بناء على اقتراح الناشر الفاضل (شرف حجازي) الذي خشي أن يضيع الجهد الأدبي، أو أن يندثر، وفي ظنه وفي يقينه أنه تاريخ عزيز»(1).

والسبب الثاني:

سَدُّ الفراغ الذي نشأ عن توقف المجلات عن نشرها مقالات وبحوث في نقد المنشور من كتب التراث؛ ولذلك يقول: «وعسى أن يكون في نشر هذه المقالات والبحوث ما يسدُّ فراغًا نَجَم من خمول وسائل النشر والإعلام من الصحف والمجلات، وتوقفها عن تشجيع النقد في محيط التراث، وهو ما أرجو

---

(1) «قطوف أدبية» ص7.

أن يكون خمولًا مؤقتًا، وتوقفًا مؤقتًا كذلك»[1].

الامتداد الزمني لبحوثه ومقالاته وإسهاماته العلمية:

لقد أثرى الأستاذ الكبير عبد السلام هارون المكتبة العربية بجوهر فاقت المائة والعشرين كتابًا، وحَمَل هذا الكتاب الذي ننظر فيه رقم (121) من أعماله رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ وهو الأخير من مصنفاته، رحمه الله رحمة واسعة، وجزاه الله تعالى خير الجزاء عما قدَّم لأمته من كتب محققة ومؤلفة، وبحوث ومقالات، ومشاركات في المؤتمرات والندوات؛ هذا بجانب تدريسه في الجامعة، وهذه لعمر الله أعباء عِظام لا يقوم بها إلا الأشداء المُوفَّقين من الرجال.

ولم يهن ولم يكل ولم يمل طيلة حياته في هذا السبيل لتحقيق هذا الهدف الجليل.

وقد سأل الأستاذُ نوفل المحرر بمجلة الفيصل السعودية الأستاذَ هارون هذا السؤال المهم في مقابلة وحوار معه، أورده في هذا الكتاب؛ حيث قال: «هل نستطيع أن نسجل نبذة تاريخية موجزة عن نشاطكم في عالم التأليف والتحقيق؟».

فقال الأستاذ هارون: «أمامك ثَبَتٌ (قائمة) بالإنتاج العلمي من سنة (1355هـ- 1400هـ، 1938م – 1980م) يتمثل في 114 عنوانًا من التأليف والتحقيق، وبعض تلك العناوين يشمل ثمانية مجلدات، أو ستة مجلدات، أو أربعة مجلدات، وبلغ عدد صفحاتها 42771 اثنين وأربعين ألفا

---

[1] مقدمة «قطوف أدبية» ص 8.

وسبعمائة وإحدى وسبعين صفحة، أرجو أن تسمح لي أن أقول بكل اعتزاز وفخر: إنَّ هذا رقم قياسي فريد لم يتح لمؤلف معاصر عربي أو غربي»(1).

وكان هذا اللقاء سنة 1980م، وتوفي الأستاذ هارون سنة 1988م، بعد أن بلغ إنتاجه (121) كتابًا بين تأليف وتحقيق.

ولما سأله عن أول كتاب ظهر عليه اسمه، قال: «أول كتاب أخرجته المطبعة مقرونًا باسم عبد السلام هارون هو كتاب (متن الغاية والتقريب) للقاضي أبي شجاع أحمد بن الحسين بن أحمد الأصفهاني، وذلك في سنة 1345هـ - 1925م»(2).

وكان ما يزال طالبًا صغيرًا بالأزهر بالسنة الثالثة الأولية في سن السادسة عشرة في هذا الوقت المبكر(3)، مما يدل على نبوغه النادر، وتفوقه على أقرانه، فكانت بمثابة باكورة تألق لمحقق كبير ومؤلف عظيم.

أما هذا السِّفر الجليل «قطوف أدبية- دراسات نقدية في التراث العربي حول تحقيق التراث» فهو آخر مصنفات العلامة الراحل عبد السلام محمد هارون، الذي وافته المنية قبل أن يقوم بعمل الفهارس التي وعد بها في المقدمة، فقام بعملها الناشر، كما يقول ذلك في حاشيته على الفهرس التحليلي لموضوعات الكتاب.

---

(1) «قطوف أدبية» ص 95.

(2) «قطوف أدبية» ص 95.

(3) راجع «قطوف أدبية» ص 95، 96.

وهذا الكتاب هو محاولة لتجميع بحوثه ومقالاته، حول تحقيق التراث، لذلك جاء كما أخبر «متعدد النشاط، متشابك الجذور، ممتدًّا من سنة 1935 الميلادية إلى سنة 1965؛ أي: نحو ثلاثين سنة»(1).

ومع ذلك فهذا الكتاب لم يحوِ كل إسهامات هارون رَحِمَهُ ٱللَّهُ من بحوث ومقالات، إذ يقول: «ومع هذا لم أستطع لَمَّ جميع أطرافه، وتجميع كل ما قمت به من إسهام خارج نطاق الكتب التي قمت بتأليفها أو بتحقيقها على مدى تلك الحقبة أو قبلها أو بعدها، والتي أربت على العشرين بعد المائة بحمد الله وبعونه»(2).

وقد أعَدْتُ ترتيب بحوثه ومقالاته التي وردت في هذا الكتاب حسب تأليفها الزمني، بداية من مقاله: (اللغة العربية صراع للعجمة، وفوز في المعركة)، والذي من خلال حاشيته عليه نستطيع أن نعلم أنه أول مقال نشر لهارون رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث كتب فيها: «أول مقال منشور للمؤلف ظهر بصحيفة الأهرام، بتاريخ 22 من مايو سنة 1935م»، وفي نهاية المقال توقيعه: عبد السلام محمد هارون، المدرس المتخرج في دار العلوم»، إلى آخر مقال أضافه في هذا الكتاب، وذكر أنه لم ينشر من قبل، وهو المقال السادس «حول ديوان البحتري».

فإليك هذا الثبت بمقالاته وبحوثه في كتاب «قطوف أدبية» حسب

---

(1) «قطوف أدبية» ص7.

(2) «قطوف أدبية» ص 7

تأليفها الزمني:

* «اللغة العربية، (صراع للعجمة، وفوز في المعركة)»، (ص143).

أول مقال منشور للمؤلف، ظهر بصحيفة الأهرام بتاريخ 22 من مايو سنة 1935م، وآخره توقيع (عبد السلام محمد هارون المدرس المتخرج في دار العلوم).

* «نظرة في كتاب (الحيوان) للجاحظ (رد على نقد)» (ص451).

نشرت في صحيفة الدستور المصرية بتاريخ 13 من جمادى الأولى سنة 1358هـ وأول يونيو سنة 1939م.

* «كتاب الحيوان للجاحظ (جواب رسالة المحقق الكبير الأب أنستاس ماري الكرملي)» (ص482).

نشرت في العدد 104 من السنة الثانية من مجلة الثقافة بتاريخ 25 من ذي القعدة سنة 1359، ديسمبر سنة 1940م.

* «كليلة ودمنة (نقد وتعليق)» (ص215).

نشرت بمجلة الرسالة العدد 425 بتاريخ أغسطس 1941م.

* «مكتبة الجاحظ» (ص169)، محاضرة ألقيت في نادي دار العلوم في 4 مارس سنة 1943م، ونشرت في صحيفة دار العلوم في أبريل سنة 1943م.

* «مجموع رسائل الجاحظ» (ص263) مجلة المقتطف يوليو 1944م.

* «كتاب الحيوان للجاحظ» حول المجلد الخامس (ص535)، نشر في مجلة المقتطف عدد نوفمبر سنة 1944م.

obeikandl.com

* «مجلة الأديب، العدد الخاص بأبي العلاء» (ص275)، نشرت بمجلة المقتطف عدد يناير 1945م.

* «تحقيق لغوي في مادة (تلمذ)» (ص102).

نشر بمجلة المقتطف عدد (مارس سنة 1945م).

* «الجاحظ والمعلمون» (ص189).

نشر بمجلة الكتاب بالعدد العاشر من السنة الأولى رمضان 1365هـ، أغسطس سنة 1946م، بتوقيع عبد السلام المدرس بجامعة فاروق الأول.

* «من التراث اللغوي (معجم مقاييس اللغة)»، (ص201) نشر بمجلة المجمع ج 15 ص101 سنة 1951م.

* «للحقيقة والتاريخ» (ص581).

مجلة الثقافة العدد 648 بتاريخ 28 من مايو سنة 1951م.

* «الهوامل والشوامل» لأبي حيان ومسكويه (ص283)، نشرت في العدد 645؛ 7 من مايو سنة 1951م مجلة الثقافة.

* «كان عالمًا جليلًا (الصديق الخالد المغفور له الأستاذ عبد الرحيم محمود)» (ص209).

نشرت بالعدد 625 من مجلة الثقافة في 16 من يوليو سنة 1951م.

* «حول ديوان الشريف المرتضي» (ص298).

مجلة رسالة الإسلام عدد أبريل سنة 1959م.

* «دراسة نقدية حول تحقيق كتاب التمثيل والمحاضرة» (ص 336)،

obeikandl.com

نشرت في مجلة المجلة عدد يونيو سنة 1962م.

* «حول ديوان البحتري»، (ص349).

المقال الأول ص350، مجلة المجلة عدد نوفمبر سنة 1964م، (ص98- 107).

المقال الثاني: (ص365)، مجلة المجلة عدد ديسمبر سنة 1964م من (ص102- 113).

المقال الثالث: (ص379)، مجلة المجلة عدد يناير سنة 1964 من (ص102-109).

المقال الرابع: (ص392)، مجلة المجلة عدد فبراير سنة 1964م من (ص95- 101).

المقال الخامس: (ص404) مجلة المجلة عدد مارس 1964م من (ص92-97).

* «الإبل وأثرها في الفكر العربي والبيان العربي» (ص109)، مجلة البيان الكويتية عدد أبريل سنة 1966م.

* «إحياء التراث وما تمَّ فيه» (ص29).

(نشرت في مجلة (المجلة) عدد يونية سنة 1966م).

* «حول التيسير» (ص147).

نشرت في مجلة البيان الكويتية في عدد أكتوبر 1967م.

* «علاقة الإسلام باللغة العربية»، (إجابة على استفتاء المكتب الدائم

للتعريب بالرباط، (ص159)، نشر في مجلة البيان الكويتية بالعدد 48 بتاريخ يوليو سنة 1968م.

* «الفصح بين اللغة والتاريخ» (ص125).

الدورة 42ج 10 للمجمع محاضر الجلسات ص347 سنة 1977م.

* «إحياء التراث العربي وأثره في لغتنا المعاصرة» (ص66)، ألقي هذا البحث في الجلسة الثامنة من مؤتمر الدورة 43 سنة 1978م.

* «مقتطفات من كتاب التراث العربي» (ص77).

نشر في سلسلة كتابك لدار المعارف، العدد 35 بتاريخ 1978م.

* «حضارتنا وإحياء التراث» (ص87).

(مقابلة وحوار مع الأستاذ يوسف نوفل المحرر بمجلة الفيصل السعودية نشرت في العدد 54 من المجلة بتاريخ ذي الحجة سنة 1401هـ أكتوبر سنة 1981م.

* «حول تجربتي في إحياء التراث» (ص12).

(مؤتمر الدورة 48 ونشرت في مجلة المجمع بالجزء 49 سنة 1984م).

* «الدعوة للصلاة في أذان المؤذنين» (ص140)، كتاب مفتوح إلى وزير الأوقاف.

نشرت بصحيفة الأخبار بتاريخ 1/2/ 1987م.

* «الإذاعة ونشر الفصحى» (ص164).

(ألقيت في احتفالات الإذاعة بالعيد الخمسيني لمجمع اللغة العربية

نشرت بالعدد 49 من مجلة المجمع سنة 1984م، وآخره توقيع/ عبد السلام محمد هارون (الأمين العام لمجمع اللغة العربية).

* «حول ديوان البحتري»، وهو المقال السادس الذي قال عنه إنه لم يسبق نشره (ص413).

obeikandl.com

المبحث الثاني: تعليم الأستاذ هارون وثقافته

نشأ الأستاذ هارون في بيت علم وفضل وسبق في التأليف والتحقيق- كان له أكبر الأثر في شغفه بالعلم والأدب، مما أعان على سرعة نضجه، وتعلقه بالتراث تعلقًا أخذ بمجامع نفسه، وساقها سوقًا حثيثًا في هذا التيار؛ ولنترك لأستاذنا العلامة يحدثنا عن نشأته وتعليمه وثقافته، حيث سأله الأستاذ يوسف نوفل المحرر بمجلة الفيصل في مقابلة وحوار معه، نشر تحت عنوان (حضارتنا وإحياء التراث) في العدد 54 من المجلة بتاريخ ذي الحجة سنة 1401هـ أكتوبر سنة 1981م- قائلًا: هناك مكونات بعيدة تؤتي ثمارها في المحقق، ما المكونات البعيدة في حياتكم الأدبية؟

فأجاب قائلًا: «عن المؤثرات في نشاطي الثقافي والتأليفي- أستطيع أن أسجل للتاريخ أنَّ الفضل الأول فيه يرجع إلى عامل الوراثة، وإلى شقيقي الأكبر الأستاذ محمد أبو الفضل محمد هارون مدَّ اللهُ في عمره، فقد ولدت في بيت كل أهله مؤلفون: جدي المغفور له الشيخ هارون عبد الرزاق شيخ رواق الصعايدة بالأزهر، خرجت إلى الدنيا ووجدت اسمه مقرونًا بكتاب كان مشهورًا جدًّا في ذلك الوقت، وما زال إلى الآن معروفًا متداولًا، وهو كتاب (عنوان الظرف في علم الصرف)، ومقرونًا بكتاب آخر هو كتاب (المبادئ النافعة في تصحيح المطالعة)، وهو كتاب نحوي موجز أتمنى أن يعاد طبعه لطلاب المدارس،

وكتاب آخر يدعى (عنوان النجابة في قواعد الكتابة)، وآخر يدعى (حسن الصياغة في علوم البلاغة)، ومما هو مسجل معروف أنه قام بالإشراف على التحرير الكامل لكتاب (الخطط التوفيقية) للعالم المؤرخ علي باشا مبارك.

ووالدي المغفور له الشيخ محمد هارون الذي كان قاضيًا لقضاة السودان، أقر أنَّ مؤلفاته (تلخيص الدروس الأولية في السيرة المحمدية)، في جزئين كان مقررًا علينا في السنتين الأولى والثانية الأولتين في جميع المعاهد الدينية، وكنت أحفظهما عن ظهر قلب، وله أيضًا كتاب (دروس في آداب اللغة العربية).

وربما استرعى نظري بعدما شدوت أني وجدت له تحقيقًا سابقًا لأوان التحقيق، وهو تحقيق كتاب (تيسير الوصول إلى جامع الأصول) لابن أبي الديبع الشيباني.

أما أخي الأكبر محمد أبو الفضل فقد قام بصنع حاشية لكتاب جدي (عنوان الظرف).

هذا هو الفضل الروحي الذي أوحى إليَّ أن أقتدي بهؤلاء القوم.

أما الفضل العلمي في انغماسي في هذا التيار، فهو فضل أخي (محمد أبو الفضل) الذي كانت له مكتبة في المنزل جمع فيها مختارات جيدة من الكتب الأصيلة التي كانت تظهر في ذلك الوقت، وكان يشجعني على قراءتها، ويحملني على حضور مجلسه للمذاكرة مع إخوانه، وأذكر أنَّه كان قد رصد لي مكافأة (ساعة جيب) أحصل عليها إذا أتممت حفظ المعلقات، وفي تلك السن المبكرة حفظت المعلقات السبع، مع شيء من شروحها، في نحو ثلاثة أشهر فقط، حفظًا جيدًا، وهذا فتح أمامي باب الولوع بالأدب وباللغة، وباب التفكير

في التأليف»(1).

وكان هذا دأب معاصريه، وشأن التعليم الذي درج فيه آنذاك؛ يقول: «ولقد كان التراث العربي بمختلف فروعه في جيلنا الذي عشنا فيه موضع اهتمام؛ يتمثل في التراث الديني الذي كانت كتبه ميسرة لنا، وكذلك التراث الأدبي واللغوي، الذي كان لكل منّا قدر كبير من الاطلاع عليه، وتمثله حفظًا أو قراءة أو رواية، وكذلك التراث التاريخي الذي كنّا نملأ به المجالس مذاكرة ومساجلة، والتراث القصصي متمثلًا في قصص عنترة بن شداد، وسيف بن ذي يزن، وألف ليلة وليلة، وإعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس للإتليدي، ونحوها، هذا مضافًا إليه دواوين فحول الشعراء: كأبي تمام، والبحتري، والمتنبي، وأبي العلاء، ولم يكن في جيلنا من لا يحفظ للحريري أكثر من مقامة، وكانت الكتب المدرسية حافلة بعيون التراث الأصيل نستظهر منه جياد القصص، وحسان الخطب»(2).

ويشيد دائمًا بهذا الدور الرائد لجيله معتزًّا به، ناعيًا تفريط الجيل اللاحق بما عُني به جيله وكَلِفوه؛ إذ يقول: «وإذا ذهبت في المقابلة بين جيلنا الذي نشأنا فيه، وبين هذا الجليل الذي يعيشه أبناؤنا، وجدنا الفرق شاسعًا بين شعورنا بكياننا العزيز الوثيق، وكيان بعض أبنائنا الذين انفصلوا عن المتعة

---

(1) «قطوف أدبية» ص: 99، 100.

(2) «قطوف أدبية» ص 89، 90.

بالتراث العربي، متمثلًا في ضروبه المختلفة»(1).

ثم تتلمذ رَحِمَهُ ٱللَّهُ على الأستاذ محب الدين الخطيب وهو من كبار المحققين في عصره، واشترك معه في تحقيق كتاب (أدب الكاتب) لابن قتيبة، فيقول: «وقد اشتركت معه في إخراجه وتتلمذت عليه في ذلك الوقت، حينما كنت طالبًا في تجهيزية دار العلوم، فهو كان أستاذي الأول في ذلك مدَّ الله في حياته»(2).

إلى أنْ قال: «ونشر كذلك كتاب (الملاحن) لابن دريد، والثلث الأول من كتاب (خزانة الأدب)، وظهر هذا الثلث في أربعة أجزاء، بتحقيق وإضافة تعليقات لأحمد تيمور باشا، وعبد العزيز الميمني الراجكوتي، وكنت ما أزال إذ ذاك طالبًا في دار العلوم»(3).

فلم يكن الجو الخارجي المحيط بـ«هارون» بمعزل عن جوِّ المحضن الأول (الأسرة)، بل نشأ وترعرع وكبر في عصرٍ قال عنه: «كان عصرًا ذهبيًّا ذلك الذي عشناه في مجالات تتسم بالأصالة والدقة والأمانة، والحفاظ على الخلق العلمي الجليل، والذوق الأدبي الرفيع»(4).

هذا عن العصر إجمالًا بكل ما حوى من إبداع أدبي، وأصالة، وتمسك

---

(1) «قطوف أدبية» ص79.

(2) «قطوف أدبية» ص45.

(3) «قطوف أدبية» ص 46.

(4) مقدمة كتاب «قطوف أدبية» ص3.

obeikandl.com

بما ينبغي أن يكون عليه الأديب والعالم من خلق وذوق.

لذلك أخذ إحياء التراث العربي في هذا العصر الذهبي مأخذه، وسعى هؤلاء الأدباء: «نحو التراث الأدبي في مكان يستثير الدرة إثر الدرة، واللؤلؤة النادرة في عقب أختها النادرة»(1).

وقد تأثر ناشر التراث بهذا العصر الذهبي، وأحسَّ بجسامة المسئولية الملقاة على عاتقه، فلم يكن النشر بالنسبة له تجاريًّا في المقام الأول، بل كان يسعى «إلى جمهرة القراء والأدباء والنقاد؛ ليعينوه على ما هو بسبيله من الإسهام في إخراج كنوز التراث في أروع صورها وأوضح معالمها(2).

وكان من عناية الله به وتوفيق الله له أن عاش في صباه عمالقة نشر التراث أمثال السيد محمد أمين الخانجي الذي يقول عنه: «وممن لهم يدٌ طولى في إذاعة التراث السيد محمد أمين الخانجي»(3).

إلى أنْ يقول: «وقد رأيت هذا الرجل في صباي، وعرفت فيه الإخلاص للعلم وحده؛ إذ لم يكن المال عنده إلا في المرتبة الثانية، كما لمست فيه التفاني في نشر التراث العربي، لا يكاد يعترف بغيره، وقد قدَّم إلى قارئ العربية مجموعة ضخمة من كتب التراث»(4).

---

(1) مقدمة كتاب «قطوف أدبية» ص3.

(2) مقدمة كتاب «قطوف أدبية» ص3.

(3) «قطوف أدبية» ص44.

(4) «قطوف أدبية» ص44، 45.

وكان من أوضح ما تفرد به هذا العصر: مجال النقد الذي كان على أروع ما يكون؛ خدمة للعلم، ووصولًا إلى المبتغى، خاليًا في الكثير الغالب من حب الظهور، وحسد الأقران.

وفي ذلك يقول هارون: «كان النقد نقدًا حيًّا لا يستثير حفيظة، ولا يوغر قلبًا»(1).

ولم يكن هذا الوصف لعصر هارون قاصرًا على موطنه الأصلي (مصر) وحدها، بل يقول: «كان هذا العصر الذهبي الذي عشناه في غبطة بين الثقافة العربية المتحررة من الإصار، يطرز جنباتها الأدب الأصيل، والشعر الأصيل، والإنتاج القصصي الأصيل، وكان ما فيه من ذلك أقوى عناصر الربط بيننا وبين أشقائنا الأخيار في هذا الوطن العربي»(2).

وكان من أبرز مميزات هذا العصر: الصحف الذائعة التي يصفها بأنها كانت «مفخرة من مفاخر جيلنا، ولها السلطان الأعظم على المتعلمين وتوجيههم نحو القصص، بدعايتها المستمرة، وقدوتها الصالحة، وقد خصص بعض منها صفحات محترمة للانتقادات اللغوية»(3).

ولقد أحسنت المجلات العلمية في هذا العصر الذهبي المشحون بالمساجلات العلمية والمعارك الأدبية اقتناص هذه الفرص فكانت «تتجاذب

---

(1) «قطوف أدبية» ص6.

(2) «قطوف أدبية» ص (6، 7).

(3) «قطوف أدبية» ص144.

أقلام الأدباء والنقاد؛ لتصهر معالم التراث العربي، وتضعها في القالب اللائق بها، وفي الصورة التي تمكِّن الباحث من حسن الانتفاع بها»(1).

وكان لا ينسى جهود الإذاعة الكبيرة في عصره في الحفاظ على لغة الضاد والنهوض بها، فيثني عليها وعلى رجالها قائلًا: «ولسنا ننسى الأحاديث الأسبوعية التي كانت الإذاعة تحرص عليها، وتدعو كبار رجال المجمع القدامى، من أمثال: طه حسين، والعقاد، والمازني، وأحمد أمين، ومنصور فهمي، وعبد الوهاب خلاف، وعبد العزيز البشري، وغيرهم، وغيرهم، كما لا يزال في أسماعنا صدى صوت الأستاذ علي الجارم في جهوده اللغوية التي كان يبغي من ورائها تنقية الفصحى من أوضار العامية، واللغة الدخيلة»، إلى أن قال: «كما نصغي إلى برنامج (صفحات التراث العربي مرة في كل أسبوع...، وكذلك إلى برنامج (دراسات عربية)»(2).

في هذا العصر الخصيب المفعم بحب التراث نمت مواهب هارون وترعرعت، ولم يمض قليل وقت حتى أبدع وحقَّق وألَّف وأنتج إنتاجًا علميًّا غزيرًا متميزًا، حتى بلغ هذا العدد الهائل من التأليف والتحقيق والبحوث العلمية والمقالات الأدبية، التي قلَّما اجتمعت لرجل.

وكان «أول كتاب أخرجته المطبعة مقرونًا باسم عبد السلام هارون هو كتاب (متن الغاية والتقريب) للقاضي أبي شجاع أحمد بن الحسين بن أحمد

---

(1) مقدمة كتاب «قطوف أدبية» ص3.

(2) «قطوف أدبية» ص165، 166.

الأصفهاني، وذلك في سنة 1345هـ 1925م.

وكتب عليه ما نصبه: «ضبط وتصحيح ومراجعة الشيخ عبد السلام محمد هارون»، وذلك عندما كنت طالبًا صغيرًا بالأزهر، بالسنة الثالثة الأولية، في سن السادسة عشرة، وذلك قبل أن أتوجه بدراستي إلى (دار العلوم)»(1).

كل هذا جعل أستاذنا سريع النضج، حيث بدأ التحقيق وهو ما زال في ميعة الشباب، نتيجة حتمية لتعليمه وثقافته، واقتناصه مزايا عصره الذهبي الذي عاشه.

(1) «قطوف أدبية» ص 95.

obeikandl.com

المبحث الثالث: تقليب كلمة (تراث) مبنى ومعنى

المشتغل بتحقيق النصوص التراثية يلزمه أن يتبين جيدًا أصل كلمة (التراث)، ومدلولها، ومعناها؛ إذ كيف يشتغل بتحقيق ما لا يكون له في ذهنه تصور كامل من حيث مبناه ومعناه؟!

وقد عالج الأستاذ هارون تحقيق كلمة (التراث)، فقال: «فلسنا نجد في مواد لغتنا العربية مادة (تَرَثَ)، كما أنه ليس في معاجمنا العربية من المواد المبدوءة بالتاء، والمختومة بالثاء المثلثة، إلا ثلاث مواد لا تزيد ولا تنقص»(1).

وذكر أنَّ الأولى: مادة (تفث)، والثانية: (تلث)، والثالثة: (توث).

ثم يقول: «وهنا يتدخل التراث الصرفي الذي يقضي بأن بعض الكلمات المبدوءة بالتاء قد تكون تاؤها مبدلة من الواو، كالتخمة: وهي الأزمة الناشئة عن ثقل الطعام، قالوا: أصلها: «وُخمة»؛ فلذا نلقاها في مادة (وخم) لا (تخم)، وكذلك (التهمة) نجدها في (وهم)»(2).

ثم ذكر أنَّ التكلان أيضًا أصلها: الوكلان، وكذا (تترى) أصلها (وترى)،

---

(1) «قطوف أدبية» ص12.

(2) «قطوف أدبية» ص 12.

و«التقى» و«التقية» و«التقوى» كلها مأخوذة من الوقاية(1).

ويسأل هارون متعجبًا: «إذن من أين جاءت كلمة (التراث)؟!»

ويجيب: «إنَّها مأخوذة من مادة (ورث) التي تدور معانيها حول حصول المتأخر على نصيب مادي أو معنوي ممن سبقه، من والد، أو قريب، أو موصٍ، أو نحو ذلك، وفي الكتاب العزيز: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾ [النمل:16]»(2).

ويرجِّح أن أقدم نص وردت فيه كلمة (التراث) كان في قوله تعالى: ﴿وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾﴾ [الفجر:19]، بمعنى: أنهم كانوا يأكلون الميراث، ويمنعونه أصحابه.

ثم يقول: «ومما ورد في الشعر القديم قول سعد بن ناشب، وهو شاعر إسلامي كان بلال بن أبي بردة قد هدم داره؛ لأنَّه أصاب دمًا في قوم:

فإن تهدموا بالغدر داري فإنها تراث كريم لا يبالي العواقبا»(3).

وعليه «أجمع اللغويون على أنَّ التراث ما يُخلِّفه الرجل لورثته، وأن تاءه أصلها الواو، أي: الوارث»(4).

ثم يبين أنَّ الصرفيين يذكرون العلة في هذا، وهي أنَّ العرب لحظوا أنَّ

---

(1) راجع «قطوف أدبية» ص12.

(2) «قطوف أدبية» ص: 77.

(3) «قطوف أدبية» ص: 78.

(4) «قطوف أدبية» ص: 77.

obeikandl.com

الواو، وهي الحرف الضعيف جديرة بأن يوضع بدلها في أوائل تلك الكلمات حرف هو أجلد منها، وهو التاء التي اختيرت بديلًا.

وعلى هذا استطاع الصرفيون في حذق أن يضعوا كلمة (التراث) في مادة (ورث).

وهكذا ظلت كلمة (التراث) محدودة المعنى والاستعمال، تنوب عنها أختها (الميراث) في كثير من الأمر، إلى أنْ دخلنا في هذا العصر الحديث، فألفينا هذه الكلمة تشيع بشيوع البحث والتنبيش عن الماضي، ماضي التاريخ، وماضي الحضارة والفنون والآداب، والعلم والقصص، وكل ما يمت إلى القديم بصلة»(1).

وصارت تطلق على «تلك الآثار المكتوبة الموروثة التي حفظها التاريخ كاملة أو مبتورة فوصلت إلينا، وليس هناك حدود معينة لتاريخ أي تراث كان، فكل ما خلَّفه المؤلف بعد حياته من إنتاج يعد تراثًا فكريًّا»(2).

---

(1) انظر «قطوف أدبية» ص (13)، و(78).

(2) «قطوف أدبية» ص29.

المبحث الرابع: استنباط منهجه في التحقيق

يعتبر هارون شيخ المحققين بما قدمه من جهد كبير عظيم في مجال تحقيق كتب التراث، وباعث نهضته خاصة بعد الأضواء الكاشفة التي سلَّطها عليه في كتابه: «تحقيق النصوص ونشرها» الذي ظهرت طبعته الأولى سنة 1374هـ، والذي وُلد ثمرة تجاربه الشخصية التي ضم إليها تجارب شيوخه وأقرانه وزملائه، حتى أصبحت قواعد التحقيق معروفة ومتفقًا عليها.

وليس التحقيق كما يظن من لم يعالجه، ولم يتحقق بقواعده- أمرًا يسيرًا، من السهل أن يقوم به أي أحد، بل هو كما يقول هارون: «أمر جليل يحتاج من الجهد والعناية إلى أكثر مما يحتاج إليه التأليف، وقديمًا قال الجاحظ في كتابه (الحيوان): ولربما أراد مؤلف الكتاب أن يصلح تصحيفًا أو كلمة ساقطة، فيكون إنشاء عشر ورقات من حر اللفظ، وشريف المعاني، أيسر عليه من إتمام ذلك النقص، حتى يرده إلى موضعه من اتصال الكلام»(1).

ولبيان منهجه في التحقيق:

نجد أنه عند كلامه على الأمور التي تعين على إقامة النص وتجنِّب المحقق مَزالق سوء الأداء، يقول: «أول تلك الأمور: التمرس بقراءة المخطوط، فإنَّ القراءة الخاطئة لا تنتج إلا خطأ، وبعض كتابات الأقدمين يحتاج إلى مراس

---

(1) «قطوف أدبية» ص14.

طويل وخبرة خاصة...»(1).

إلى أن يصل إلى الأمر الثاني فيقول: بأنه «التمرس بأسلوب المؤلف ومعرفة لوازم ذلك الأسلوب، والوقوف على ما يؤثره من العبارات والألفاظ...

وأدنى صور التمرس بأسلوب المؤلف أنْ يرجع المحقق إلى أكبر قدر يستطيع الحصول عليه من كتب المؤلف، وذلك ليزداد خبرة بأسلوبه وظروفه...

والأمر الثالث من مقدمات تحقيق المتن، هو الإلمام بالموضوع والقضايا التي يعالجها المخطوط، حتى يمكن أن يفهم النص فهمًا سليمًا....

والأمر الرابع من وسائل تحقيق المتن، هو المراجع العلمية ذات العلاقة المباشرة بالمخطوط...، والتي يمكن تصنيفها على الوجه التالي:

1- كتب المؤلف نفسه مخطوطها ومطبوعها.

2- الكتب التي لها علاقة نسب بالكتاب؛ كالشروح والمختصرات والتهذيبات...

3- وهناك ضرب آخر من المراجع التي لها علاقة حميمة بالكتاب، وهي الكتب التي اعتمدت في تأليفها اعتمادًا كبيرًا على الكتاب، وهذه كثيرًا ما تحتفظ بالنص الأصلي للكتاب الأول...

4- ومن المراجع المعينة على إقامة النص، وتجنب المحقق مزالق سوء الأداء، عكس المراجع السابقة، وهي المراجع التي استقى منها المؤلف...

---

(1) «قطوف أدبية» ص15.

والأمر الخامس مما يعين على صحة الأداء، هو الرجوع إلى الكتب المعاصرة للمؤلف التي تعالج نفس موضوعه، أو تعالج موضوعًا قريبًا منه، فمما لا ريب فيه أنَّ الأجواء العلمية المتعاصرة تلقي أصدق الأضواء وأعلاها على تحقيق النص.

والأمر السادس من الأمور التي تعين على صحة الأداء، ولا يستطيع المحقق فراقه أو مجانبته، هو المراجع اللغوية، إذ هي القياس الأول الذي تسير به صحة النص، والدليل الأول كذلك الذي يقودنا إلى حسن فهم النص وتصوره(1).

ومن قواعد تحقيق النصوص: كيف نرجح رواية على أخرى؟ وكيف نصحح الأخطاء والتحريفات؟ وكيف نضبط النصوص؟ وكيف نعلق عليها؟ وما مدى أهمية علامات الترقيم؟ وما المكملات الحديثة التي ينبغي أن يظهر بها الكتاب؟ وغير ذلك كثير(2).

ويبين هارون أهمية الفهارس، وأنه لابد من كشَّافات تفصح عما في الكتاب، وتجلي ما فيه من كنوز؛ فيقول: «ولعل أشنع ما يقع في هذا الفن أن يخرج الكتاب مجردًا من الفهارس الفنية، أو توضع له فهارس غير ذات جدوى»(3).

---

(1) انظر «قطوف أدبية» ص14– 24، باختصار شديد.

(2) «قطوف أدبية» ص91.

(3) «قطوف أدبية» ص91.

ويدعو إلى الوسطية في إيراد التعليقات والحواشي، وكان من رواد هذه المدرسة، التي ترفع شعار: «الزائد أخو الناقص»، فلا ينبغي أن يترك النص بلا إضاءة، وكذلك لا يُقبل أن يطيل المحقق في تعليقاته وحواشيه؛ كأنه يستعرض ثقافته.

وكذلك في الدراسة التي تُقدِّم للنص لابد أن تكون بغير إيجاز مخل، ولا طول ممل، فلا ينبغي للمحقق أن يتزيد في تقديمه للمخطوطة بصورة تطغى على صورة الكتاب نفسه(1).

وأيضًا كان من منهجه: التوسط في استعمال علامات الترقيم، ولقد امتدح أحمد زكي باشا بأنه أول من أشاع علامات الترقيم الحديثة في المطبوعات العربية، إلا أنه أخذ عليه أنه كان يبالغ في استعمال تلك العلامات، ولا سيما في الشعر الذي كان يختم كل بيت مستقل فيه بنقطة يضعها في نهايته(2).

هذه الأمور العامة التي تعين على إقامة أي نصٍّ، وتُجنِّب المحقق مَزالق سوء الأداء؛ لكن كل كتاب أثناء تحقيقه يحتاج لرسم منهج معين حسب مادة المخطوط، ويفرض على المحقق خطوات خاصة به؛ لذلك يقول هارون: «عند تحقيقي لكتاب (الحيوان) للجاحظ هالني تنوع المعارف التي يتضمنها هذا الكتاب الموسوعي، ووجدت أني لو خبطت على غير هدى، لم أتمكن من إقامة

---

(1) «قطوف أدبية» ص91.

(2) «قطوف أدبية» ص40.

نصه على الوجه الذي ينبغي أن يكون عليه، فرسمتُ لنفسي منهجًا بعد قراءتي للكتاب سبع مرات، منها ست مرات اقتضاها معارضتي لكل مخطوط من مخطوطاته على حدة، ومرة سابعة كنت فيها أقرؤه لتنسيق فقراته، وتبويب فصوله، فكنت بذلك واعيًا حافظًا لكثير مما ورد فيه.

وبعدئذ لجأت إلى مكتبتي أتصفح تصفحًا ما أحسب أنَّ له علاقة بالكتاب، وأقيد في أوراق ما أتوقعه معينًا للتصحيح، أو التخريج، حتى استوى لي من ذلك قدر صالح من مواد التحقيق أو التعليق.

ولكن هذا كله لم يكن ليغنيني عن الرجوع إلى مراجع أخرى غير التي حسبت أو توقعت، فكانت عدة المراجع التي اقتبست منها نصوصًا للتحقيق والتعليق فحسب نحو 290 كتابًا، غير المراجع التي لم أقتبس منها نصوصًا، وهي تساوي العدد السابق أو تفوقه»(1).

لا يمكن أن يتصدى العالم لتحقيق التراث إلا إذا تحققت فيه أسس؛ ذكرها الأستاذ هارون نجملها فيما يلي:

«أول تلك الأسس هي إيمان من يتصدى لتحقيق التراث إيمانًا كاملًا به، مع احترامه له وتقديره. ..

والأمر الثاني الذي يجب أن يتحقق في ناشر التراث، هو أن يكون على صلة وثيقة بباقي جميع فروعه، فنحن لا نستطيع أنْ نَضَع في يد عالم كيميائي أو طبيب عبقري مخطوطًا أدبيًّا؛ ليقوم بتحقيقه، ولكننا نستطيع أنْ نضع في يد

---

(1) «قطوف أدبية» ص28.

أديب مرموق هذا المخطوط مهما يكن نوعه؛ ليعالج إخراجه على وجه مرضٍ...

فالصلة الوثيقة الواسعة بالتراث شرط ضروري لمن يتصدى للجهاد في هذا الميدان.

والأمر الثالث أمر خُلُقي يتمثل في أمرين: الأمانة، والصبر، فكما تشترط الأمانة فيمن تكلفه استثمار مالك والتصرف فيه، تكون الأمانة شرطًا فيمن يعهد إليه أمر مخطوط ما، كل كلمة منه وكل حرف بمثابة أجزاء الآثار دقائقها التي يحافظ العلماء والمؤرخون على كل قطعة منها، مهما يكن قدرها، وثمرة هذه الأمانة تأدية فكر المؤلف وأسلوبه، وتأدية فكر عصره الذي عاش فيه، والجو الذي لابس المادة العلمية أو الأدبية لهذا المخطوط.

أما الصبر فهو من تمام الأمانة أيضًا، فالتعجل في تحقيق المخطوط ينتهي بلا ريب إلى الإخلال بالأمانة العلمية التي تقتضي التريث في الحكم على الصورة الصحيحة التي ينبغي أن تمثل النص في أوج سلامته ومطابقته للحقيقة(1).

فلا بد أن يكون المحقق صبورًا مثابرًا، يقظًا منتبهًا جدًّا، سخيًّا بوقته، إذ «تحقيق نصوص التراث محتاج إلى مصابرة ومثابرة، وإلى يقظة وانتباه عظيمين، وإلى سخاء في الجهد الذي لا يضن على الكلمة الواحدة بيوم واحد أو

---

(1) «قطوف أدبية» ص89 - 91، باختصار.

أيام معدودات»(1).

ويجمع مهمة المحقق في هذه الكلمة: «المهم بصفة عامة أن تخرج لنا النصوص التراثية في صورة أقرب ما تكون إلى الصحة، وفي ثوب مناسب من مجاراة العصر، وعلى وجه تتحقق به أقصى فائدة يحصل عليها القارئ والباحث عند دراسته لهذا المخطوط»(2).

وإليك بعض أقوال أصدقاء هارون التي بينت بعض منهجه في التحقيق، وأشادت به:

يقول الأستاذ شوقي ضيف: «وقد قدَّمت الأستاذ الجليل عبد السلام محمد هارون غير مرة، وأشدت بجهوده، وما يبذله فيما ينشره من عنت وعناء، فهو من جهة قد أحسن مهنة النشر إلى أقصى حد ممكن، وهو من جهة أمين على ما ينشره، ولست أقصد بالأمانة هنا: المحافظة على النص، ولكني أقصد المحافظة على كل ما يمكن؛ لبعث النص على خير الوجوه، من حيث التذييل عليه والتعليق، في غير تكثر ولا ادعاء، وفي الوقت نفسه في تثبت وثقة بما يقول ويكتب»(3).

ويقول أيضًا: «وعلَّق الأستاذ عبد السلام هارون على هذه الرسالة [أي

---

(1) «قطوف أدبية» ص28.

(2) «قطوف أدبية» ص91، 92.

(3) «قطوف أدبية» ص577، 578، المقال الثاني في التعليق على «نوادر المخطوطات» نشر وتحقيق الأستاذ عبد السلام محمد هارون، والذي نشر بمجلة الرسالة العدد 656 يونية 1951م.

obeikandl.com

الرسالة المصرية لأبي الصلت] بتعليقات بديعة كشف فيها عن مواضع الغموض، وقابل بين نصوصها ونصوص الكتب التي نقلت عنها، وأصلحها في غير موضع. ..» (1).

ويقول الأستاذ عبد المنعم خلاف: «وإذا كانت الأمور تقاس وتقدر بما يبذل فيها من مجهود له نتيجته النافعة، فأظن أنَّ ما في المطبوعة الحديثة من (الحيوان) من التحقيقات، وتحرير النصوص، وفهارس المعارف، وأجناس الحيوان وأعلامه، وأعلام الناس والقبائل والطوائف، والبلدان والأماكن، والأمثال والشعر والأرجاز واللغة والكتب وأيام العرب، أظن هذا كله عملًا أشق وأنفع من كثير من الكتب التي يرسلها مؤلفوها إرسالًا سهلًا»(2).

ثم يقول خلاف: «وقد قدَّم كذلك كتاب (الحيوان) تقديمًا خاصًّا عرض فيه لمنشأ التأليف في الحيوان عند العرب، ولمراجع الجاحظ في تأليف كتابه من القرآن والحديث والشعر العربي وكتاب الحيوان لأرسطو...

ومن المباحث القيمة أيضًا في هذا التقديم: تحقيق زمن تأليف الجاحظ للحيوان، وتبيين قيمة كتاب الحيوان»(3).

---

(1) «قطوف أدبية» ص 574، من مقال «نوادر المخطوطات» نشر وتحقيق الأستاذ عبد السلام محمد هارون، والذي نشر بمجلة الرسالة العدد 634 فبراير 1951م.

(2) «قطوف أدبية» ص 566، من مقال «كتاب الحيوان للجاحظ، بتحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، والذي نشر بالعدد 275 من مجلة الرسالة.

(3) «قطوف أدبية» ص567، 568.

ثم يقول خلاف: «فنظرة واحدة إلى صفحة من صفحات الكتاب بصلبها وهامشها تقف القارئ مباشرة على مقدار الجهد العنيف الذي بذله الأستاذ الصبور محقق الكتاب [أي: الحيوان] في ضبط الألفاظ وشرحها، وفي مقابلة النسخ القديمة التي اعتراها كثير من التصحيف والتحريف، وفي أمانته وحرصه على استئذان القارئ فيما أثبت أو نفى من أوضاع الكتاب وكلماته وتوجيهاته»(1).

إلى أن يقول: «ثم نظرة أخرى إلى ثَبَت مراجع تقديم الكتاب وتحقيقه وشرحه، تُري القارئ مقدار سعة اطلاع الأستاذ، واهتدائه إلى مواطن الفتوى، فيما يشتبه عليه من خبر أو نص أو توجيه، وإلى ما يعتمد عليه في إخراج هذا السفر الجليل، وما وراءه من مكتبة الجاحظ»(2).

ويقول صديقه الأستاذ محمد فهمي عبد اللطيف المحرر بالأخبار: «ونشر الكتب وتحقيقها ليس بالأمر الهين، ولكنه عمل يشترك فيه الذوق والفهم والعلم وسعة الاطلاع، ويقتضي بذل الجهد وطول البحث والصبر على مراجعة النصوص، وهذا كله قد اجتمع للأستاذ عبد السلام هارون، وتجلى فيما أخرج من كتب قيمة، وحقق من أسفار نافعة، وقد أعطى لكتب الجاحظ قدرًا كبيرًا من عنايته، فهو الآن يعد العدة لإخراج الحلقة الثانية من المخطوطة لهذا الكتاب، وكمل مواضع النقص فيه، واستوفى مواقعه الناقصة شرحًا وتعليقًا،

---

(1) «قطوف أدبية» ص 568.

(2) «قطوف أدبية» ص569.

وما يقي إلا أن يقدمه إلى أبناء العربية في أجمل حلة من التنسيق والطبع»(1).

(1) «قطوف أدبية» ص (570)، في مقال بعنوان (تعقيبات) بقلم الأستاذ/ محمد فهمي عبد اللطيف، والذي نشر في العدد (751) من مجلة الرسالة.

obeikandl.com

المبحث الخامس: أعمال المستشرقين، ورأيه فيهم

الاستشراق: مصطلح أطلقه الغربيون على الدراسات المتعلقة بالشرقيين؛ شعوبهم, وتاريخهم, وأديانهم, ولغاتهم, وأوضاعهم الاجتماعية, وبلادهم, وأرضهم, وحضارتهم, وكل ما يتعلق بهم.

ولا يستطيع منصفٌ حَجْد جهود هؤلاء المستشرقين في نفض الغبار عن كثير من تراثنا النادر الثمين، ولا إنكار ما أصَّلوه وأدخلوه في فنِّ تحقيق النصوص.

ويرصد هارون بكل إنصاف وحصافة جهود المستشرقين في العناية بالتراث، ويحللها، ويقارن بينها وبين جهود أجدادنا؛ فيبين أن تحقيق النصوص وتوثيقها فَنٌّ عربيٌّ أصيل، يتجلى في معالجة أسلافنا الأقدمين لرواية كتب الحديث، واللغة، والشعر، والأدب، والتاريخ في دقة وأمانة ونظام بارع.

ولكن المستشرقين تبنوا إحياء هذا الفن في هذه العصور القريبة، والجهد العلمي الذي بذلوه لا يُستطاع إنكارُه؛ إذ كانوا أساتذة الجيل الحاضر في الطريقة العلمية التي جَرَوا عليها.

فنشروا عيونًا ثمينة من عيون التراث العربي قبل أنْ تظهر في الشرق العربي بعشرات السنين، في أمانة علمية دقيقة اقتبسوها من أسلافنا مقرونة

بعناية خاصة بالفهارس الفنية.

وهذا كان شأن جمهور أسلافنا أيضًا، فكتب الرجال عندنا تنال ترتيبًا فهرسيًّا ممتازًا مقرونًا بالإحالات الذكية، كما أنَّ مقابلة المخطوطات ومقارنتها ميزة عربية سابقة، عرفها آباؤنا الأولون.

عرفوا منَّا كل شيء، ثم عُدنا نحن إليهم؛ لنعرف ونتعلم ما عرَّفناهم من قبل، والفضلُ لا ينكر، ﴿مَا نَبْغِي هَٰذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا﴾ [يوسف:65].

ونَبَغَ مِن بينهم علماء أمناء نوابغ، قاموا بنشر عيون ثمينة من التراث العربي على الوجه الأمثل، ومنهم:

(وستنفلد) الألماني: الذي ألف وحقق نحو مائتي كتاب بين صغير وكبير، منها كتاب (سيرة ابن هشام) و(معجم ما استعجم) الذي نشره مكتوبًا بخط يده مطبوعًا بمطبعة الحجر (ليتوجراف).

و(بيفان) الهولندي: ناشر نقائض جرير والفرزدق، مذيلة بالفهارس المبتكرة والتعليقات، ومنها تفسيره وفهرسته للألفاظ التي لم تذكر في المعاجم المتداولة، وهو مما يذكر له بالتقدير.

وكذلك (تشارلس لايل) الإنجليزي: محقق شرح المفضليات لابن الأنباري، مع ترجمة شعرية لها باللغة الإنجليزية، ومن عجب أنه استطاع أن ينظم هذه الأساليب والمعاني الجاهلية، في ثوب شعري إنجليزي قشيب.

ولا نستطيع أنْ نغفل فضل المستشرق الألماني المقعد (رودلف جاير) محقق ديوان الأعشيْن (22 شاعرًا)، الذَّي أَسْماه: (الصبح المنير في شعر أبي

بصير)، في عناية فائقة وتخريج مستفيض.

وتظهر عنايته الفائقة في تخريج هذه الأشعار من (569) مرجعًا مع مقابلات كاملة لرواية النصوص بيتًا بيتًا، وكلمة كلمة.

ويتولى (وليم رايت) الإنجليزي نشر (كامل) المبرد لأول مرة في حذق وإتقان، في أجزاء ثلاثة مع حواشٍ وفهارس وافية تمام الوفاء، وهو في سن الرابعة والثلاثين، وذلك قبل أنْ تظهر الطبعة المصرية بنحو ربع قرن.

وأعجوبة الأعاجيب أنْ يقوم على إحياء كتاب سيبويه مستشرق فرنسي شاب هو (هَرْتويغ دُرِنبُرغ)، وقد نشر الكتاب في سنة 1881م؛ أي: قبل أن تظهر طبعة بولاق بعشرين سنة.

ويذكر أنَّ (جوستاف بان) أخرج شرح المفصل لابن يعيش مقابلًا بمخطوطات ليبزج وأكسفورد والآستانة في سنة 1882م، وذلك قبل أنْ تظهر الطبعة المصرية لمحمد منير الدمشقي بنحو نصف قرن.

ويضيف بأنَّ أروع محاولاتهم في إحياء التراث ونقله إلى داخل لغتهم هو ما قام به المستشرق العبقري الدكتور (ج. يان)، من ترجمته نص كتاب سيبويه كاملًا إلى اللغة الألمانية، مع إضافات وتعليقات بالعربية، مقتبسة من شروح السيرافي والشنتمري وغيرهما، وظهرت تلك الترجمة في خمسة مجلدات ضخمة من سنة (1895 – 1900)(1).

وفي ثنايا حديث هارون عن «إحياء التراث وما تمَّ فيه» تحدث عن

---

(1) راجع «قطوف أدبية» ص37 – 39، وص68 – 70.

المحققين في مصر والعالم العربي، ثم ذكر بأن جهود المستشرقين مستمرة، وقال: «وإلى جانب هذه الجهود العربية والشرقية، لا نزال نلمس صنيع إخواننا المستشرقين المعاصرين في خدمة التراث العربي، ونذكر من أفاضلهم وهم كثيرون:

1- (أ. ليفي بروفنسال الفرنسي) حقق طائفة من الكتب من ألمعها كتاب (نسب قريش) لمصعب الزبيدي.

2- أمبرتو رتزيتانو الإيطالي (ديوان الفنلوبي الصقلي).

3- أنس خالدوف الروسي (المنازل والديار) لأسامة بن منقذ.

4- أوسكار لوفجرين السويدي (الإكليل للهمداني ج1، 2).

5- إيفان فاجنر الألماني (ديوان أبي نواس).

6- الآنسة إيلزة ليختن شتيتر الأمريكية، كتاب (المحبر) لابن حبيب.

7- شارل بلات الفرنسي، له نشاط ظاهر في نشر كتب للجاحظ؛ منها: (البغال) و(التربيع والتدوير) و(الجواري والغلمان).

8- شارل كوينس الفرنسي، يقوم الآن بتحقيق كتاب (الجيم) لأبي عمرو الشيباني.

9- كراتشكوفسكي الروسي، له ما يربو على أربعمائة وخمسين أثرًا بين مصنف ومترجم ومفسر ومنقود باللغات الروسية والفرنسية والألمانية والعربية، ومن تحقيقاته: (الأخبار الطوال للدينوري)، و(طبقات الشعراء) لابن المعتز، و(كتاب البديع) لابن المعتز.

10- الأب هويني الهولندي، له (المجموع المحيط بالتكليف، للقاضي عبد الجبار)»(1).

وعند ذكر هارون لأبرز هيئات ومؤسسات نشر الكتب، ذكر من ضمن هذه الهيئات والمؤسسات: جمعية المستشرقين الألمانية بتركيا سنة 1918م.

وقال: «ويرجع تاريخها الأول إلى سنة 1845م حيث أسست في ألمانيا في مدينة هالة، ثم أنشأت فروعا لها في الشرق، أهمها فرع الآستانة سنة 1918م، تولى الإشراف عليه وتأسيس مكتبته المستشرق هلموت ريتر، وقام مع غيره بنشر طائفة من كتب التراث المهمة؛ منها: مقالات الإسلاميين للأشعري، والوافي بالوفيات للصفدي بتحقيق ريتر ثم ديدرنج، والمحتسب لابن جني بتحقيق برجستراسر.

ثم فرع القاهرة الذي سمي بمعهد الآثار، وكان يديره رويمر، الذي حقق الجزء التاسع من كنز الدرر وجامع الغرر للداودي.

ثم معهد الدراسات الشرقية في بيروت سنة 1960م.

ومن جهوده: إعادة نشر الجزء الأول من الوافي بالوفيات للصفدي، وطبقات المعتزلة بتحقيق السيدة فليتسردي فالد من معهد إستانبول، وكتاب النحاة للمرزباني بتحقيق سلايم من جامعة فرانكفورت»(2).

---

(1) «قطوف أدبية» ص62، 63، باختصار، من مقال: «إحياء التراث وما تم فيه» والذي نشر في مجلة (المجلة) عدد يونية سنة 1966م.

(2) «قطوف أدبية» ص44.

obeikandl.com

وأثناء حديث الأستاذ هارون عن جهود حسام الدين القدسي ذكر أنّه سمع أنّه كان ينسخ الكتاب بنفسه ثم يجمع حروفه بيده، ثم يصححه، ثم يدفع به إلى المطبعة، ويشير في الحاشية أنّه: «مما يُسجَّل مشابهًا لهذا العمل ما قام به المستشرق الأسباني (قديره فرنسسكو) مع زميليه اللذين قاما بإخراج المكتبة الأندلسية نسخًا وتحقيقًا وجمعًا وطبعًا»(1).

وفي مقاله عن كتاب (كليلة ودمنة) نقد وتعليق، ذكر أن الدكتور عبد الوهاب عزام تحدث عن طبعات الكتاب فذكر:

1- طبعة المستشرق دي ساسي الذي كانت طبعته أصلًا من أصول الطبعات المصرية الكثيرة، وهي نسخة ملفقة من عدة نسخ.

2- ثم طبعتي اليازجي وطبارة، وهما ملفقتان من طبعة دي ساسي ومخطوطات ومصورات أخرى.

3- ثم طبعة شيخو، وهي أول طبعة في اللغة العربية تُقدِّم للقراء نصًّا كاملًا غير ملفق من كتاب (كليلة ودمنة)، وأصلها مخطوط سنة 739هـ وقد طبعه شيخو كما هو، لم يصحح أغلاطه، ولم يوضح غامضه؛ ليكون أمام المستشرقين صالحًا للمقارنة والنقد.

ثم تحدث عن النسخة التي نقلت عنها الطبعة الحديثة وهي في مكتبة أيا صوفيا بإسطنبول، كتبت سنة 618، فهي أقدم من كل المخطوطات التي وصفها المستشرقون، وأقدم من نسخة شيخو المكتوبة سنة 739، وهذه

---

(1) «قطوف أدبية» انظر ص48، وحاشية رقم (1) بها.

obeikandl.com

النسخة مفعمة بالتحريف والتصحيف والإسقاط وخطأ الرسم، وتستطيع أن تعد في النموذج المصور من الصفحة الأولى فقط نحو اثني عشر تحريفًا وتصحيفًا»(1).

ولقد انتقد الأستاذ عبد الوهاب عزام أنّه لم يتوخَ ما يقتضيه النشر العلمي من إثبات الأصل والتنبيه عليه، ثم قال: «وأمامنا جهود المستشرقين ناطقة بمدى تقديرهم لهذه الناحية التاريخية الفنية، فلا تكاد تجد كتابًا نشروه إلا وقد أثبتوا أصله أو أصوله إن كان ذا نسخ مختلفة»(2).

وبعد حديث الأستاذ هارون عن كتاب (الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر)، قال: «وهذا الكتاب جدير بإعادة نشره والتعليق عليه والإفادة منه، وإن كان المستشرق الفرنسي دي ساسي قد عني بنشره متنًا، وترجمه سنة 1811م، ومن قبله قام إدوارد بوكوك الإنجليزي بترجمته إلى اللاتينية، ثم نشره توماس هايد متنًا وترجمة، في أكسفورد سنة 1702م»(3).

وفي إجابته عن سؤال: ما الوجه الغائب من مكتبة التراث؟ بيَّن أنّه هناك وجوهًا كثيرة غائبة من مكتبة التراث، ثُمَّ قال: «ولقد حاول قدماء المستشرقين من قبل أن ينشروا كل كتاب أو جزء من كتاب يقع بين أيديهم، ونظرة إلى

---

(1) «قطوف أدبية» ص 216 بتصرف واختصار.

(2) «قطوف أدبية» ص: 217.

(3) «قطوف أدبية» ص86، باختصار.

كتاب (المستشرقون) للأستاذ نجيب العقيقي تظهرنا على مختلف الاهتمامات التي كانت تسترعي نظر هؤلاء العلماء، فلم يكن عندهم إيثار لضرب من ضروب التراث على آخر، بل كان كل همهم وهم المكفيُّون أمر معاشهم وحياتهم أن ينشروا كل شيء؛ وذلك لتستكمل صورة التراث، ولتبدو ظاهرة من مختلف جوانبها ونواحيها»(1).

وفي مقاله حول تيسير دراسة علم النحو، ذكر أنَّ مدرسة المستشرقين إنّما قامت على هذا النحو الأصيل، وأنَّ من المؤسف أن نجد المستشرقون قد سبقونا إلى رعاية علومنا وتقديرها، وأن نلفيهم قد تقدمونا بعشرات السنين، وظهرت عيونهم على أمهات كتب النحو قبل أن تظهر عليها عيوننا، فكتاب سيبويه سبق إلى نشره المستشرق (ديرنبرج) مع تعليقات ومقدمة باللغة الفرنسية في باريس سنة 1881م، على حين كانت طبعته المصرية سنة 1900م، وشرح المفصل لابن يعيش نشره المستشرق (ياهن) في ليبسك سنة 1876م، ولم تره المطبعة العربية إلا متأخرًا(2).

وأخيرًا يُعقِّب على أعمال المستشرقين إجمالًا فيقول: «هذه صورة مشرقة لإخواننا الأعاجم الذين منحوا لغتنا العزيزة من الوفاء والإعزاز والصون، ومن الخدمة الصادقة الشريفة ما يجب أن تخجل له بعض الزعانف العربية الذليلة،

(1) «قطوف أدبية» ص92، السائل هو الأستاذ/ يوسف نوفل المحرر بمجلة الفيصل، في مقابلة وحوار معه، نشرت تحت عنوان (حضارتنا وإحياء التراث) في العدد 54 من المجلة بتاريخ ذي الحجة سنة 1401هـ أكتوبر سنة 1981م.

(2) «قطوف أدبية» ص 150 باختصار وتصرف.

التي تحاول في إصرار مرير أنْ تهدم أصولًا لا تعرفها، وأنْ تشوه جمالًا عزَّ على الدهر أنْ يُستباح.

كناطح صخرة يومًا ليوهنها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

أقولها بسماحة هؤلاء الذين يحاولون هدم الأهرام، حاولوا ما استطعتم واجتهدوا ما وسعكم الجهد، وأعملوا معاولكم المتوالية المتتالية في بنائها المتين الشامخ، فستظل الأهرام هي الأهرام، شامخة ساخرة ممن تخيلوا ثم خالوا.

وأعود فأقول: إنّه قد بلغ مقدار هذه الكتب المحياة، وتلك البحوث التي أديرت حولها ما يُربي على (8000) كتاب وبحث»(1).

---

(1) «قطوف أدبية» ص71.

المبحث السادس: صنيع أحمد زكي باشا (1867م ـ 1934م)

أشاد هارون رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالدور الكبير الذي قام به الأستاذ الكبير العلامة أحمد زكي باشا في خدمة التراث، ووصفه بأنه أول من قدم لنا باكورة المنهج الحديث في تحقيق النصوص، كما كان أول نافخ في بوق إحياء التراث على النهج الحديث، فيقول: «ولا نستطيع أنْ نغفل فضل صاحب الجهد الأول في توجيه ذلك الإحياء –أي إحياء التراث العربي والإسلامي- هذه الوجهة الجديدة التي عاصرناها وكانت نواة لأعمالنا، وهو العلامة الجليل أحمد زكي باشا (1867م-1934م) الذي قدم لنا باكورة المنهج الحديث في تحقيق النصوص، كما كان أول نافخ في بوق إحياء التراث على النهج الحديث، وقد قام بتحقيق كتابي (أنساب الخيل) لابن الكلبي، و(الأصنام) له أيضًا وقد طبعا في المطبعة الأميرية سنة 1914م باسم لجنة إحياء الآداب العربية التي عرفت فيما بعد باسم (القسم الأدبي)، ولعل هذين الكتابين مع كتاب (التاج في أخلاق الملوك) للجاحظ الذي حققه أيضًا بالمطبعة الأميرية في سنة 1914م من أوائل الكتب في هذا الشرق العربي التي كتب في صدرها كلمة (بتحقيق)، كما أنَّ تلك الكتب قد حظيت بإخراجها على أحدث المناهج العلمية للتحقيق، مع استعمال المكملات الحديثة من تقديم النص إلى القراء، ومن إلحاق الفهارس التحليلية المتنوعة، ويضاف إلى ذلك أنه أول من أشاع لإدخال علامات

الترقيم في المطبوعات العربية، وألف في ذلك دستورًا في كتاب سماه: (الترقيم في اللغة العربية)، طبع في بولاق في زمن مبكر جدًّا هو سنة 1913م، وإنْ كان يؤخذ عليه أنّه كان يبالغ في استعمال تلك العلامات، ولا سيما في الشعر الذي كان يختم كل بيت مستقل فيه بنقطة يضعها في نهايته»(1).

❀❀

(1) مقدمة «قطوف أدبية» ص، وراجع أيضًا ص39، 40.

obeikandl.com

المبحث السابع: نقده لأعمال غيره وردهم عليه

سبق أن ذكرتُ أن أوضح ما تفرَّد به العصر الذي عاش فيه الأستاذ هارون أن النقد فيه كان سجالًا ودُولَة بين الأدباء، على أروع ما يكون؛ خدمة للعلم، ووصولًا بالنص التراثي إلى الوجه اللائق به، أقرب ما يكون إلى الصورة التي تركها عليه مؤلفه، فكان لذلك خاليًا في الكثير الغالب من حب الظهور، وحسد الأقران.

وفي ذلك يقول هارون: «كان النقد نقدًا حيًّا لا يستثير حفيظة، ولا يوغر قلبًا»(1)، ومن ذلك:

نقد الأستاذ هارون لصنيع الأستاذ عزام في تحقيقه لكتاب (كليلة ودمنة):

أشاد الأستاذ هارون بالمقدمة التي قدَّم بها الأستاذ عزام لتحقيق كتاب «كليلة ودمنة»، فقال: «وقد صنع الأستاذ عزام لهذا الكتاب مقدمة بلغت من النفاسة مبلغًا، وحوت من الفوائد الكثير؛ فهو قد عرض لتاريخ الكتاب...»(1).

---

(1) مقدمة «قطوف أدبية» ص6.

الكتاب...»(1).

وبعد أنْ ذكر أنَّ الأستاذ عزام تحدَّث عن طبعات كتاب (كليلة ودمنة) وبيّن أن بعضها ملفَّق من عدة نسخ كطبعة المستشرق (دي ساسي) الذي كانت طبعته أصلًا من أصول الطبعات المصرية الكثيرة.

وكطبعة اليازجي وطبارة الملفقتين من طبعة دي ساسي ومخطوطات ومصورات أخرى.

ثم طبعة شيخو، وهي وإن كانت طبعة في اللغة العربية كاملة إلا أنّه طبعها كما هي، لم يصحح أغلاطه ولم يوضح غامضه؛ ليكون أمام المستشرقين صالحًا للمقارنة والنقد.

ثم تحدث عن النسخة التي نقلت عنها الطبعة الحديثة، وهي في مكتبة أيا صوفيا بإسطنبول، وهي مفعمة بالتحريف والتصحيف والإسقاط وخطأ الرسم، قال: «وهذا يدل على مقدار الجهد الهائل الذي بذله الأستاذ عزام في تحقيق هذه النسخة وتقريبها إلى السلامة»(2).

ثُمّ أخذ عليه أنّه لم يتبع المنهج العلمي في النشر فقال: «نحن في هذا الصدد نأخذ على الأستاذ أنه لم يتوخَ في هذه الناحية ما يقتضيه النشر العلمي من إثبات الأصل، والتنبيه عليه، فقد يكون للقارئ وجهة في التصحيح غير الذي ارتضى، نعم، إن الأستاذ قد أثبت بعض كلمات الأصل في التعليقات التي

---

(1) «قطوف أدبية» ص216.

(2) «قطوف أدبية» ص216، 217.

ألحقها بالكتاب، لكنها من القلة بحيث لا تغني شيئًا في معرفة أصل الكتاب والوقوف عليه»(1).

واستدل عليه بصنيع المستشرقين قائلًا: «وأمامنا جهود المستشرقين ناطقة بمدى تقديرهم لهذه الناحية التاريخية الفنية، فلا تكاد تجد كتابًا نشروه إلا وقد أثبتوا أصله أو أصوله إن كان ذا نسخ مختلفة»(2).

ثم قال: «وكتاب مثل كتابنا هذا، لَبِس من جلال التاريخ ما لَبِس، جدير بما ذكرت من وجوب بيان أصله للرجوع إليه، ووجوب مقارنة نسخه بعضها ببعض»(3).

ويعيب عليه تركه المفردات اللغوية الصعبة بلا توضيح؛ فيقول: «ولغة ابن المقفع في (كليلة ودمنة) لغة عالية، تعلو على المتأدب والأديب أيضًا، فهي محتاجة إلى توضيح وتقييد وبيان، فكان من المستحسن أن يصنع الأستاذ لها شرحًا أو معجمًا يلحقه بنهاية الكتاب، كما فعل من قبل الخوري نعمة الله الأسمر، حينما نشر ترجمة ابن الهبارية لـ(كليلة ودمنة)، مع أنَّ لغة هذا النظم في مستوى دون مستوى ترجمة ابن المقفع.

على أنَّ الأستاذ قد أحسن صنعًا بما حقق من الأعلام الفارسية والهندية،

---

(1) «قطوف أدبية» ص 217.

(2) «قطوف أدبية» ص217.

(3) «قطوف أدبية» ص 217.

مما يشهد له بتمام البراعة في ذلك»(1).

ثم سجَّل عليه بعض الهنات التي رآها في نسخة الأستاذ عزام، أولًا في الضبط اللغوي، وثانيًا في الضبط النحوي، وثالثًا في تحقيق النص، ورابعًا في التعليقات(2).

رد الأستاذ عزام على نقد الأستاذ هارون:

ردَّ الأستاذ عزام على مأخذ الأستاذ هارون عليه في أنّه لم يتوخ النشر العلمي من إثبات الأصل، فقال: «والجواب: أنَّ مذهبي في النشر ألا أخالف النسخة التي اتخذتها أصلًا إلا حين يتضح غلطها، وإن كان هذا الغلط في مواضع قليلة أثبته في مواضع، أثبته في الحاشية؛ ليعرف القارئ ما وقع في أصل الكتاب، ولكن نسخة (كليلة ودمنة) التي أنشرها مملوءة بأغلاط واضحة كثيرة، لا ينال الناشر والقارئ من إثباتها إلا العنت»(3).

وفي دفاعه عن عدم مقارنته بين النسخ المختلفة وإثباته للفروق بينها؛ قال: «وأما مقارنة النسخ المختلفة فقد بينت في المقدمة أنّ النسخ المطبوعة- إلا نسخة شيخو- ملفقة مغيرة تصرف فيها الناشرون كما شاءوا على غير خطة معروفة، ثم بين هذه النسخ كلها بعضها وبعض، وبينها وبين نسختنا ونسخة شيخو، ثم بين هاتين النسختين من الاختلاف ما لا يمكن إثباته في

---

(1) «قطوف أدبية» ص 217، 218.

(2) «قطوف أدبية» ص 218- 246.

(3) «قطوف أدبية» ص247، 248.

الحواشي، بل يختلف السياق أحيانًا حتى يحسب القارئ أن أمامه كتبًا مختلفة»(1).

وفي ردِّه على الأستاذ هارون في تركه التعليقات على ألفاظ ابن المقفع الغريبة؛ قال: «وليس هذا رأيًا في هذه الطبعة التي أريد بها أن تكون في الأغلب هدية للعلماء والأدباء، لا أن تكون كتابًا مدرسيًّا يُؤدَّب به الناشئون، نعم ربما يستعان بهذا الكتاب على درس أساليب ابن المقفع، وأساليب النثر في عصره، ولكن هذا بحث آخر لا يتعلق بمقصدنا من نشر الكتاب»(2).

ثم أخذ يبين رأيه في الألفاظ التي رأى الأستاذ هارون أنها خالفت الصواب على الترتيب الذي ساقه الأستاذ هارون في مقاله.

نقد الأستاذ هارون لمجموع رسائل الجاحظ الذي نشره باول كراوس، ومحمد طه الحاجري:

يذكر هارون أن من محاسن الأستاذين (باول كراوس، ومحمد طه الحاجري) في هذه النشرة: أن لهما فضل السبق إلى نشرها؛ إذ لم تحظ بالنشر من قبل.

ويثني على منهجهما في النشر؛ فيقول: «وقد سلك الناشران منهج النشر العلمي الصحيح، وحرصا أشد الحرص على أمانة النقل وصدق الرواية عما

---

(1) «قطوف أدبية» ص 248.

(2) «قطوف أدبية» ص 248.

بأيديهما من أصول»(1).

ويشيد بالطريقة التي ابتكراها في التعليق على النصوص إلا أنه أخذ عليهما صعوبتها، ومخالفتها للمألوف عند الباحثين والقارئين؛ فيقول: «وقد استعمل الناشران طريقة استحدثاها في التعليق على النصوص، وأعدَّا لذلك أهبة لا يستهان بها من الأقواس والمعقوفات والنقط والرموز، والنجوم، والاصطلاحات، وهي بلا ريب ضرورية للتعليق والتحقيق، ولكنهما ربطا الجواد خلف المركب! فظهر في طريقتهما (ولا سيما النجوم) كثير من العسر الذي لا يتغلب عليه إلَّا حشد قوى الدربة والرياضة، كما خالفا في ذلك الطريقة المألوفة التي جرى الناشرون عليها، واستساغها جمهور القارئين والباحثين، ولعل من عذرهما في ذلك رغبة التغلب على مشكلة الورق، ولكن ذلك لا يقوم عذرًا إزاء ما ابتدعا من صعوبة»(2).

ويأخذ عليهما خلو الرسائل من الشرح؛ إذ هو ضرروي لصعوبة إشارات وعبارات الجاحظ؛ فيقول: «خلت هذه الرسائل من الشرح، ولغة الجاحظ الذي كان يتنسم هواء القرن الثالث الهجري- فيها إشارات وعبارات ومثل وشعر يخفى كثير منه على القارئ من الخاصة، فما بالك بالوسط؟!

الحق أننا في عصر يَفتقر أهله أشد الافتقار إلى مَن يُحسن صلتهم بتراثهم

---

(1) «قطوف أدبية» ص265.

(2) «قطوف أدبية» ص 265.

القديم، وينهج لهم السبيل إليه»(1).

ويأسف لتركهما لأعلام في هذه الرسائل بدون تحقيق وترجمة؛ فيقول: «في الرسائل كثير من الأعلام، أعلام الناس والبلدان، وهي بحاجة إلى تحقيق وترجمة توضح الجو للقارئ، وتسعفه بفهم النصوص فهمًا كاملًا، ومع ذلك لم يظفر عَلَم من أولئك بترجمة أو بتحقيق»(2).

وضرب مثلًا بـ(غيلان بن خرشة الضبي) الذي كتب محرفًا برسم (خرشنة)(3).

ويأخذ عليهما أيضًا خلو نشرتهما من الفهارس؛ فيقول: «خلت هذه النشرة من الفهارس، ولسنا بصدد أن نبين قيمة الفهارس بعدما وضح للباحثين ضرورتها، وشدة الحاجة إليها، وليست المائة والأربعون صفحة بالقدر الهين الذي يستغنى فيه عن الفهارس»(4).

وأيضًا يأخذ عليهما عدم تمييزهما للآيات القرآنية؛ فيقول: «تضمنت الرسائل آيات قرآنية كثيرة، وقد جرى الناشرون المحدثون تبعًا للسلف على تمييزها عن غيرها من النصوص بمميز يظهرها، ولكننا وجدنا الآيات الكريمة تجري مع النص لا يفصلها منه بفاصل، بل إنَّ بعض الآيات قد جاء متداخلًا

---

(1) «قطوف أدبية» ص 266.

(2) «قطوف أدبية» ص266.

(3) «قطوف أدبية» ص266.

(4) «قطوف أدبية» ص266.

obeikandl.com

في البعض الآخر»(1).

وضرب لذلك أمثلة، وذكر مثالًا لآية وقعت محرفة؛ فقال: «وقد وردت هذه الآية التالية محرفة: ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾﴾ [الفجر:20]، إذ رسمت بلفظ (ويحبون) بالياء التحتية، وهو سهو عظيم ما كان أجدر بالناشرين ألا يقعا فيه، وقد أجمع القراء على لفظ التاء الفوقية المثناة لم يشذَّ منهم أحد»(2).

وفي ختام نقده يقول: «بذل الناشران جهدًا موفقًا في تصحيح النصوص، ونترك الكلام لهما يقولان: «ومع ذلك بقيت في هذه الرسالة مواضع على فسادها ونقصها، لم نوفق إلى تصحيحها، ولم نجد العون على إقامة عوجها في أصل آخر، أو قراءة أخرى، ولكنا آثرنا أن نظهر هذه الرسائل على ما فيها مما فات طوقنا، فذلك خير من أن تظل حبيسة مقيدة، وما يزال أملنا كبيرًا في أنْ يتاح لنا من الوسائل ما يمهد السبيل إلى تصحيحها، أو أن تجد من نقد الناقدين ما عسى أن يجلو هذه المواضع المغشاة فيها».

وهذه المواضع التي أشاروا إليها كثيرة حقًّا، ولعليِّ استطعت أن أجلو بعضها»(3).

ثم أخذ يسرد بعض ما وقعا فيه من أخطاء ويبين صوابها.

---

(1) «قطوف أدبية» ص267.

(2) «قطوف أدبية» ص267.

(3) «قطوف أدبية» 267.

نقده لمجلة الأديب (العدد الخاص بأبي العلاء)(1):

امتدح هارون أن تنتظم مجلة موضوعًا واحدًا لتعدد الأقلام التي تتناول بأفكارها وقراءاتها المتباينة ذلك الموضوع، وتنظر إليه من زوايا متعددة، وهذا مما يوطد العلاقة بين الأمم العربية ويدعم التقارب.

وأثنى على الدكتور إسحاق الحسيني بأنه كان موفقًا في إظهار الرسالة التي اضطلع بها (أبو العلاء) المُعَلِّمُ، والنشاط الذي كان يشيعه فيمن حوله من الطلاب والمريدين ثم قال:

«وأما سر أبي العلاء فهو فرض ساقه الأستاذ الخولي، يذهب إلى أن أبا العلاء إنما منعه من الزواج مانع العجز الطبيعي، وأن السر إنما يرد إلى «سبب مادي طبيعي لا الزهد ولا لفلسفة»(2).

ويردُّ على هذا الدعاء قائلًا: «ولكن كيف نتصور تلك العبقرية المتدافعة المتزاحمة في تلك الرجولة الناقصة، إنَّ العبقريات الممتازة لم تكن يومًا في ضعاف الرجال، بل إني لأذهب إلى أنَّ أبا العلاء كان من قوة طبيعة الرجل بالمكان الذي يحمله على التقلل من المطعم والمشرب؛ ليكف عوارم هذا الميل، ويصير إلى حال من العفة وضبط النفس، وليس فيما ذكره الأستاذ من

---

(1) من مقاله عن مجلة الأديب العدد الخاص بأبي العلاء، والذي نشر بمجلة المقتطف عدد يناير سنة 1945م.

(2) «قطوف أدبية» ص 275.

obeikandl.com

شواهد اللزوم ما ينهض حجة صالحة لدعواه الطريفة»(1).

ثم ذكر هارون أنَّ الدكتور أسعد طلس قال في مقاله القيم «القرامطة»: «وأنا مؤمن أننا حين نعثر على كتاب «المجالس» للمؤيد في الدين أبي النصر...

ثم قال: وكتاب «المجالس المؤيدية» لم يفقد؛ فمنه نسخة بالهند أخذت منها صورة مودعة بخزانة جامعة فؤاد الأول، وقد اقتبست لجنة أبي العلاء بالقاهرة نصًّا منه في كتابها «تعريف القدماء بأبي العلاء» (القاهرة 1944 ص 387»(2).

نقده لـ«قواعد الهرموني»: علم توافق الأصوات(3):

رفع هارون من شأن هذا الكتاب، وثمَّن جهد محققه قائلًا: «كتاب جديد يضيف ثروة قيمة إلى خزانة المكتبة العربية، فإنَّ المؤلفات الموسيقية العربية هي من الندرة بمكان...، وهذا الجهد الحي الذي استطاع به الأستاذ بيومي في إخراج هذا الكتاب يقتضيني تنويهًا بتلك البراعة التي نسج بها كتابه، وتلك الروح التي أوحت إليه أن يضع هذا الكتاب ليغذو الفن الشرقي، وليضيف إلى كنوز العربية نفائس لا يُستهان بها من المصطلحات الفنية التي وضعها أو أحياها، وهو إذ يقدِّم هذا الكتاب بتقديم حسن يأبى إلا أن يجعل

---

(1) «قطوف أدبية» ص 275.

(2) «قطوف أدبية» ص 276.

(3) من مقاله عن «قواعد الهرموني»: علم توافق الأصوات، والذي نشر بمجلة المقتطف بعدد أبريل سنة 1945م.

Obeikandl.com

للعرب سابقة في هذا الفن الحديث»(1).

إلى أن يقول: «وقد أتم الأستاذ المؤلف الجزء الأول من الكتاب في (162) صفحة تتخللها الرسوم الموسيقية، وعقَّب على فصول الكتاب بمسائل في الموسيقى التطبيقية»(2).

ثم يأخذ عليه أنه اتبع الطريقة الأوربية في كتابة المذكرة (النوتة)؛ فيقول: «وقد لحظت أنه يبدأ هذه المسائل من يسار الكتاب إلى يمينه جريًا على ما هو متبع في المذكرة (النوتة) الأوربية، وكان أولى به أن يعرب هذه الطريقة بأن يبدأ باليمين، إذ ليست هناك أية ضرورة فنية لإيثار الطريقة الأوربية»(3).

ثم يختتم مقاله بهذا الثناء: «إنَّ جهاد المؤلف في هذا الكتاب حقيق بكل حفاوة وتكريم وتهنئة، كما أنه يستوجب شكر كل من يخدم اللغة العزيزة ويرعاها»(4).

نقده لكتاب (الهوامل والشوامل) لأبي حيان ومسكويه، نشرة الأستاذين: الدكتور أحمد أمين بك، والسيد أحمد صقر(5):

---

(1) «قطوف أدبية» ص 277.

(2) «قطوف أدبية» ص 278.

(3) «قطوف أدبية» ص 278.

(4) «قطوف أدبية» ص 278.

(5) من مقاله الذي نشر في العدد (645)، 7 من مايو سنة 1951م من مجلة الثقافة.

أثنى هارون على هذه النشرة القيمة لهذا الكتاب الممتع، قائلًا: «ونظرت في إخراج هذا الكتاب فوجدت الناشرين قد بذلا فيه غاية الجهد من العناية والاتصال بالقارئ حتى يتأدى إليه النص أقرب ما يكون إلى السلامة»(1).

وذكر أن الذي أشار عليه بكتابة هذا النقد هو الأستاذ الكبير الدكتور أحمد أمين الذي سأله عن رأيه في إخراج الكتاب، فأثنى على الجهد والعناية التي ظفر بها الكتاب، وذكر أن هناك هنات يفوت أمثالها كل ناشر، ثم قال: «فطلب إليَّ [أي: الدكتور أحمد أمين] أن أطلعه على بعضها، ففعلت، فعزم عليَّ في سرور العالم المخلص للعلم أن أنشرها؛ إيمانًا منه بعظم فائدة النقد وشدة حاجة الناشر والقارئ إليه»(2).

ثم ذكر بعض هنات ظهرت له في أثناء القراءة السريعة لهذا العمل الجليل والتي لا تغض من قيمته(3).

نقده «ديوان الشريف المرتضي تحقيق وشرح الأستاذ رشيد الصفار المحامي»(4):

يبين هارون أنه كان في اشتياق بالغ لليوم الذي يظهر فيه هذا الديوان، ويثني على الجهد الصادق الذي بذله محققه، ويقول: «والأستاذ الصفار جدير

---

(1) «قطوف أدبية» ص 284.

(2) «قطوف أدبية» ص284، 285.

(3) راجع «قطوف أدبية» ص285- 296.

(4) من مقاله «حول ديوان الشريف المرتضي»، الذي نشرته مجلة رسالة الإسلام، عدد إبريل سنة 1959م.

بكل تقدير؛ لأنه بذل جهدًا صادقًا في أن يرى النورَ هذا الديوانُ الكبيرُ»(1).

ويعجب من أن يقوم محام بهذه المهمة الأدبية الجسيمة، إلا أنه كما قال: «ولم أكن أتوقع أن ينهض بهذا العبء الأدبي رجل هو في زمرة المحامين، فيستقل به ولا ينوء بحمله؛ ولكني ألفيته فيما بعد يضطلع بحمله ويظهره عملًا هو أقرب ما يكون إلى الكمال»(2).

ثم يتحدث هارون عن ضخامة هذا العمل وصعوبة نشره البالغة فيقول: «لم يكن نشر ديوان الشريف المرتضي فيما يرى الناشر بالأمر المعتاد، بل هو أمر تسبقه مقدمات ويتقدمه خيال وطيف أحلام»(3).

ثم يتناول مقدمات هذه النشرة للديوان، ويثني عليها، فيقول: «وقد صُدِّر هذا الديوان بثلاث مقدمات، أولها للسيد العالم العراقي الأستاذ محمد رضا الشبيبي، وقد تضمنت هذه المقدمة بحوثًا عميقة تنم عن علم غزير واطلاع واسع، تناولت مسيرة المرتضي من شعره».

ويقول عن المقدمة الثانية: «وتلي هذه المقدمة مقدمة الدكتور مصطفى جواد، ينوه فيها بالديوان، ثم تغلبه طبيعة المؤرخ فيكتب تحقيقًا في مدفن المرتضي...».

ثم يصل للحديث عن مقدمة المحقق، فيبين أهميتها وما حوته، فيقول:

---

(1) «قطوف أدبية» ص299.

(2) «قطوف أدبية» ص298.

(3) «قطوف أدبية» ص323.

«والمقدمة الثالثة لمحقق الديوان، وفيها ترجمة مستفيضة للشاعر ولأسرته...، ثم بيان مؤلفاته وفهرس كتبه...، والقول في شاعرية المرتضي وديوان شعره، ثم الكلام على نسخ الديوان.

وهذه المقدمة الأخيرة كما ترى تعد دراسة جامعة للشريف المرتضي، تتضح بها شتى جوانب حياته الاجتماعية والسياسية والعلمية، وهي جديرة بالثناء العظيم لما بذل المحقق فيها من جهد وما أظهره من قدرة على البحث والتحقيق»(1).

ثم يستعرض ما رآه من مآخذ على المحقق؛ فيقول: «ولكن الذي يؤخذ على الأستاذ الناشر أنه خرج على المألوف في التحقيق، وجانب الأصول المرعية في النشر.

1- فهو قد ضم إلى الديوان الأصيل وفي أثنائه، جميع ما عثر عليه من شعر المرتضي في المراجع المختلفة، أعني: كتب الشريف المرتضي نفسه...، وهذا بلا ريب عدوان على الديوان»(2).

إلى أن قال: «إذ إن هذا الضرب من الشعر [أي: الشعر المضاف للديوان من مراجع الشاعر] هو في موضع الريبة لا يصح أن يطمئن إليه الناشر اطمئنانًا علميًّا كاملًا، وكان أجدر به أن يفرده في نهاية الديوان بابًا مستقلًّا».

2- ثم أخذ عليه مأخذًا ثانيًا وهو تركه الترتيب الأصلي للديوان؛ فيقول:

---

(1) «قطوف أدبية» ص 324، 325، باختصار.

(2) «قطوف أدبية» ص325، باختصار.

«كما أن الناشر قد جانب الترتيب الأصيل للديوان، الذي يظهر أنه روعي فيه التدرج التاريخي، فعمد الناشر إلى ترتيب القوافي على حروف الهجاء غير مقيد بترتيبه الأول، ذلك- كما يقول- «تسهيلًا للمراجعة وتشويقًا للمطالعة».

وكان يستطيع أن يبقي هذا الترتيب الأصيل كما هو، ويترك هذا التسهيل الذي يعينه لمهمة الفهرس، كما يفعل الناشرون في إخراج الدواوين القديمة فهم لا يتصرفون هذا التصرف الذي يخالف الطريقة العلمية في النشر».

ثم قال: «هذا مجملُ ما يلمحه المتتبع لمنهج النشر، وهناك أخطاء أخرى في المنهج في تحقيق النص وأدائه وتفسيره»، وذكر بعضها(1).

نقده تحقيق كتاب «التمثيل والمحاضرة» للثعالبي، تحقيق الأستاذ الدكتور عبد الفتاح الحلو(2):

ذكر هارون بعض مؤلفات الثعالبي المطبوعة، ثم ذكر أن من محاسن هذه النشرة أن محققها أحسن صنعًا بسرد أسماء كتب الثعالبي المخطوط منها والمطبوع، والذي لم يبق منها إلا اسمها التاريخي؛ مبينًا المراجع التي سجلتها، والمطابع التي أخرجت بعضها.

ثم بيَّن أن المحقق قد فاته بعضًا من مؤلفات الثعالبي التي ذكرها في بداية نقده.

---

(1) راجع «قطوف أدبية» ص326- 335.

(2) من مقاله «دراسة نقدية حول تحقيق كتاب التمثيل والمحاضرة للثعالبي، تحقيق الأستاذ الدكتور عبد الفتاح الحلو، والذي نشر في مجلة «المجلة» عدد يونية سنة 1962م.

وأثنى على الكتاب وأظهر أهميته، وأعجب بجهد محققه، وأشاد به، مظهرًا نواحي إعجابه؛ حيث يقول: «فالكتاب ضخم المادة، غزير الفائدة، لا يكاد يستغني عنه أديب، والفرصة التي أتاحها الأستاذ المحقق (عبد الفتاح محمد الحلو) لقراء العربية بإخراجه هذا الكتاب في هذا الثوب السابع، تستوجب شكره والثناء عليه بعد أن تنتزع الإعجاب الصادق بالجهد الذي بذله في تحقيق الكتاب على مخطوطاته الثلاثة، ومقابلة نصوصها، وتخريج تلك النصوص تخريجًا معقولًا على مراجع أصيلة كثيرة، وترجمة ما يحتاج إلى ترجمة من الأعلام الكثيرة الواقعة فيه ترجمة موجزة مشفوعة ببيان مصادرها، ثم القيام بعمل الفهارس الفنية التي تكشف الزوايا المتعددة لهذا الكتاب الضخم الذي بلغت صفحاته (600) صفحة»(1).

لكنه أخذ عليه طريقته في إخراج الفهارس؛ فقال: «وأما فهارس الكتاب فهي وافية حقًّا، ولكن بعضها عولج معالجة غير منظمة، وهو فهرس القوافي، ومن رجع إلى طريقتي الأخيرة في إخراج فهرس القوافي أمكنه أن يدرك منهجها التنظيمي الميسر الذي أشرت إليه في كتاب «تحقيق النصوص» ص77».

وأما فهرس «أنصاف الأبيات»، فقد اختلطت فيه أنصاف الأبيات بأشطار الرجز، وأصبح الباحث حائرًا بين الفهرسين، وكان من الميسور عزل هذه عن تلك، كما أنَّ من المألوف أن ما عُرفت قافيته ألحق بفهرس القوافي

---

(1) «قطوف أدبية» ص 339.

ومزج به، فيصبح مدار تلك الفهارس منحصرًا بين فهرس قوافي الشعر، وفهرس قوافي الرجز، وفهرس الصدور التي لم تعرف أعجازها، وهو ما نظن الأستاذ المحقق فاعله إن شاء الله في الطبعة المقبلة.

كما أنَّ فهرس الموضوعات كان من المستحسن أن يرتب ترتيبًا هجائيًّا مفصلًا، وهو أمر ليس بالعسير أيضا»(1).

وخلال مقاله استعرض تصويبات سريعة رأى أنها فاتت الأستاذ عبد الفتاح الحلو(2).

وفي نهاية المقال أخذ عليه تحرجه من إلحاق بيان بالأخطاء المطبعية التي وقعت في الكتاب؛ فقال: «وقد فات الأستاذ المحقق، ولعل له عذرًا في تحرُّج بعض الناشرين من إلحاق بيان للأخطاء المطبعية الواقعة في الكتاب، وهو تحرج لا يقره العلم ولا دقة الأداء- أقول: فاته أن ينبه على الأخطاء المطبعية الواقعة في الكتاب، وليس هذا من المغتفر في كتاب كهذا الكتاب، مفعم بالنصوص والضبط»(3).

نقده تحقيق الأستاذ حسن كامل الصيرفي لديوان البحتري:

أثنى هارون على ما قام به الأستاذ الصيرفي من جهد وصبر وجَلَد أثناء تحقيق ديوان البحتري «هذا التحقيق الذي حالفه الصبر والدأب والأمانة،

---

(1) «قطوف أدبية» ص347، 348.

(2) راجع «قطوف أدبية» ص339- 348.

(3) «قطوف أدبية» ص 347.

ومحاولة الوصول إلى الكمال»(1).

وسجَّل له هذه الشهادة الكبيرة العظيمة التي تستمد عظمتها وجلالها من قدر صاحبها، فقال: «وأشهد لقد وفق الأخ الصيرفي أيما توفيق، وأشهد لقد بذل أقصى وسعه ولم يضن بشيء منه»(2).

ونبَّه على قدر معاناته الشديدة والصعاب التي واجهته أثناء مقابلته الديوان على نسخ كثيرة، فقال: «وقد رجع الأستاذ الصيرفي في تحقيق نسخته إلى ثمانية عشر مخطوطًا ومطبوعًا من نسخ الديوان، منها ثلاث نسخ مطبوعة، وقد ذكر أوصاف المخطوطات الخمسة عشر في مقدمة الديوان.

وهذا عمل مرهق مضن، وإذا عرف القارئ أنَّ تلك النسخ تختلف اختلافًا بينًا في ترتيب القصائد وعددها، وعدد أبياتها واختلاف رواياتها، وهو الأمر الذي يحتاج إلى جهد مضن ويقظة ناصبة- علم مقدار العنت الذي لاقاه، والصعوبة التي ذلَّلها بصبره وجَلَده»(3).

وأظهر إعجابه الشديد بما صنع المحقق من تراجم لأعلام الديوان، وإثباته تاريخ كل قصيدة ومقطوعة؛ فقال: «وقد قام الأستاذ الصيرفي بترجمة أعلام الديوان، وبيان إشاراته التاريخية، وتعيين تاريخ كل قصيدة ومقطوعة،

---

(1) «قطوف أدبية» ص351.

(2) «قطوف أدبية» ص351.

(3) «قطوف أدبية» ص 351.

بما يستحق معه كامل الإعجاب وعظيم التقدير»(1).

لكنه أيضًا عمل بشري لا يخلو قطعًا من مآخذ وهنات، قال هارون عنها: «وقد لمحت في أثناء قراءتي بعض المآخذ التي لا يكاد يسلم منها محقق، فأحببت أن أضيف إلى تحقيقه جانبًا من جهدي المتواضع؛ لأشاركه شرف الإسهام في خدمة شعر البحتري»(2).

ومما لفت نظر الأستاذ هارون أن المحقق ذكر أنه جمع بين طريقة المستشرقين في مراجعة النصوص وإثبات اختلاف الروايات، وطريقة العرب الأقدمين في الشرح والتعليق.

فقال مستنكرًا: «لم يقل أحد أنَّ مراجعة نصوص المخطوطات وإثبات اختلاف الروايات طريقة ابتدعها المستشرقون، وإنَّما هي عربية صميمة ولدت مع التأليف العربي، ولازمته إلى عصوره المتأخرة، ولعله أراد طريقة المستشرقين في نشر النصوص عن طريق المطبعة، فإن كان قد أراد ذلك، ولا أخاله يعني غيره، فإنه كان من الأجدر به أن ينص على ذلك، لئلا يظن من به مرض أنّ للمستشرقين كل الفضل في ذلك، كما يبدو من عموم عبارته»(3).

ثم أخذ يسرد بعض المآخذ في الديوان وشرحه وقال: «وهي ضروب، منها ما هو في متن الديوان، ومنها ما هو في تفسيره، ومنها ما هو في منهج

---

(1) «قطوف أدبية» ص351.

(2) «قطوف أدبية» ص352.

(3) «قطوف أدبية» ص353.

الطباعة»(1).

وقد ردَّ الأستاذ حسن كامل الصيرفي على الأستاذ هارون فيما انتقده عليه (حول ديوان البحتري)؛ فشكر له صنيعه، وأثنى عليه؛ قائلًا: «وأشهد أني قد أفدت كثيرًا من ملاحظاته وتوجيهاته، وهو الرجل الذي تمرس بهذا الفن قرابة الأربعين عامًا، فكان لهذه الطبعة حظ من التصويب على ضوء ما أنار نقده».

وناقشه في بعض مآخذه عليه؛ فقال: «على أنني قد احتفظت برأيي في بعض ما نقده الأستاذ الجليل»(2).

وأخذ يوضح وجهة نظره في بعض ما انتقده عليه الأستاذ هارون(3).

(1) «قطوف أدبية» ص353.

(2) «قطوف أدبية» ص442.

(3) راجع «قطوف أدبية» ص 442- 447.

obeikandl.com

المبحث الثامن: ناقدوه ورده عليهم

1 -رده على نقد الأستاذ صلاح الدين المنجد لكتابه: «تحقيق النصوص ونشرها»:

كان لكتاب هارون «تحقيق النصوص ونشرها» صدى واسع المدى؛ لما له من سبق تاريخي في التأليف في هذا المجال؛ لذلك وقف الأدباء والمحققون حياله إلى فريقين؛ الأول: مغتبط بالكتاب مهنئ لصاحبه، والثاني: عائب عليه أنه لم يطلع على جهود المستشرقين ليستفيد منها، ومن هذا الفريق الأستاذ صلاح الدين المنجد الذي عناه الأستاذ هارون في ردِّه عليه، وكنى عنه بـ«بعض إخواننا الدمشقيين».

ففي مقال «حضارتنا وإحياء التراث» إعداد وتقديم يوسف نوفل المحرر بمجلة الفيصل بالسعودية، والذي سأله عن كتاب يعتز به فأجاب: «وأنا مع ما أسلفت أستطيع أن أعلن اعتزازي الخاص بكتابي «تحقيق النصوص ونشرها»؛ لأنّه حقق لي سبقًا تاريخيًّا، وهو ابتداع علمي متكامل لم يكن موجود من قبل، فكان هذا الكتاب أول كتاب كامل جامع في هذا الفن يوضح مناهجه، ويعالج مشكلاته، وهو يعد إلى الآن الدستور الوحيد في هذا الفن.

وقد علمت بعد إخراجي لهذا الكتاب أنَّ بعض المستشرقين تناول

بالكتابة بعض أمور التحقيق، ولكني لم أعلم أنَّ مستشرقًا أو غير مستشرق صنع كتابًا متكاملًا من قبل، وهذا ما حملني أن أكتب في مقدمة الطبعة الثانية من هذا الكتاب ردًّا على بعض الأدباء:

«هذه هي الطبعة الثانية من «تحقيق النصوص ونشرها» أقدمها مغتبطًا بها، وبما كان لسابقتها من صدى متواضع في أرضنا العربية، بله بلاد المستشرقين الذين كتبوا إليَّ مهنئين، وإن كان بعض إخواننا الدمشقيين ممن كنا نتوسم فيه النجابة- زعم بضعف نفسه وبما شعر به أمثاله من ذلة علمية، أني لم أطلع على ما كتب المستشرقون، فوضع بذلك على هامتي إكليلًا أعتز به، إذ أمكنني- بعون الله وحده- أن أضع علمًا متكاملًا لم أسبق إليه، دون أن أتطفل على مائدة كثيرًا ما وضع فيها للعرب صحاف مسمومة، وموائد العرب حافلة بالجهود الوثيقة، والأمانة العلمية المرموقة»(1).

2 -رده على الأستاذ حسن السندوبي في نقده لتحقيق كتاب الحيوان للجاحظ:

قال الأستاذ هارون في مقاله: «نظرة في كتاب (الحيوان) للجاحظ، رد على نقد»: «ولقد سرني من الأستاذ أن يقول في شأني: فقلت ما ليس ولصاحب هذا الاسم، فما عليَّ إلا أن أنظر في عمله...» إلخ، فقد أعجبني هذا التجرد الذي يدل دلالة بينة على أنه كان مخلصًا في قوله ونقده، وأنه لم ينظر إلى الشخص، بل نظر إلى العمل، وذلك ما حدا بي إلى أن أتبين معه وجه الحق، فيما أشار إليه

---

(1) «قطوف أدبية» ص97.

في مقاله»(1).

ومن النماذج التي انتقدها الأستاذ السندوبي عليه:

1- ضبطه كلمة (ممتع) بتشديد التاء المفتوحة في قوله: «وبميت ممتع»، فقال: «وهذا ليس بصواب، والحق أنَّها بكسر التاء ليكون ممتعًا...» إلخ.

فأجاب عن ذلك الأستاذ هارون بقوله: «وقد تجنَّى الأستاذ السندوبي على كلمة «صواب» فحمَّلها ما لا تستطيع حمله، ولو أنه قال: «الأوجه» أو «الأوفق»؛ لكان بذلك مرضيًّا للحق الذي يريده».

ثم ذكر ما بيَّن به أن ضبطه له وجه، وأنَّه الأولى بالصواب(2).

2- تغييره بعض الكلمات ومن ذلك: قول معاوية: في ص130: «ما استهتر به أحد إلا رأيت ذلك في مُنَّته)، أي: قوته، قال الأستاذ السندوبي: «فجعل المصحح كلمة «ما استهتر»: «ما اشتهر»، والصواب: ما أثبتناه؛ لأن الاستهتار: الولوع بالشيء».

فرد هارون: «أقول لحضرته ثانيًا: إني لم أجعلها «اشتهر»، بل هكذا جاءت في الأصل، وليس ما يمنع صحتها، وليس هناك ضرورة ملحة تدفعنا إلى التبديل ما كان المعنى مستقيمًا واضحًا، ولو أبحنا هذه القاعدة في كثير من التوسع؛ لتنكرت معالم الكتب، وضاعت أصولها، وجَنَيْنَا بذلك على المكتبة العربية، وعلى الأمانة التاريخية.

---

(1) «قطوف أدبية» ص451.

(2) «قطوف أدبية» ص452.

وما شوَّه كثيرًا من الكتب المطبوعة إلا جرأة ناشريها على التغيير، واستجابتهم إلى كل فكرة سريعة طارئة، تخيل إليهم أن الصواب كل الصواب في التغيير والتبديل»(1).

فأبدى الأستاذ هارون رأيه فيما انتقده عليه الأستاذ السندوبي، وتبين وجه الحق معه فيه، وفي الختام قال: «وإني لأشكره صادقًا مخلصًا حسن ظنه، وما أولاني من تقدير، وعلى تنبيهه القيم في ضبط كلمة (رُخص) بضم الراء فإنَّ هذا مما غاب ويغيب عن كثير من الأدباء»(2).

3 -نقد الأب أنستاس ماري الكرملي تحقيق هارون الجزء الرابع من كتاب «الحيوان»، ورد هارون عليه:

أثنى الأب أنستاس ماري الكرملي في بحوثه هذه على الأستاذ هارون ثناء عاطرًا؛ فقال: «بلغني كتابك الجزء الرابع من كتاب (الحيوان) مع رسالتك الكريمة، فدهشت مما رأيت ووقفت عليه، إذ رأيتك تسعى سعيًا حثيثًا في التحقيق والإمعان فيه، على وجه لا يقاربك فيه أحد من المشتغلين بمثل شغلك من أبناء هذا الشرق الأدنى، فأهنئك بهذا الفوز العظيم المبين، وبالقصبة التي انتزعتها في حلبتك، وأنت بهذا الإهاب الغض.

والإنسان مهما بلغ من التفوق في الدراية والعرفان يحتاج إلى الإيغال في ذلك التفوق؛ لأن آفاق العلم تمتد وتتسع بقدر ما يمعن في منهاجها».

---

(1) «قطوف أدبية» ص 456، 457.

(2) «قطوف أدبية» ص458.

ثم أورد ملاحظاته على هذا العمل؛ قائلًا: «وأنا أبوب ملاحظاتي أبوابًا على الأوجه الآتية»(1)، ثم ذكر:

1- أغلاط الطبع.

2- ثم أغلاط الضبط.

3- ثم أغلاط الصرف.

4- ثم أوهام في الآراء.

5- ثم ما غمض على المحقق.

6- ثم مقابلة الألفاظ العربية بالكلم الأجنبية.

7- ثم ملاحظات شتى(2).

8- وأخيرًا: ذَكَر حسنات التحقيق لهذا الجزء من الكتاب، فقال: «حسنات هذا المجلد لا تحصى ولا تستقصى، ولو تولى غيرك العناية بنشر مثله لما استطاع قط، حتى لو أقام خمس سنوات أو ستًّا لإبرازه بمثل الحلة التي أفضتها عليه؛ لأنَّ التحقيقات والتدقيقات التي أتيت بها بلغت أبعد الغاية التي يصل إليها الباحث المتروي المتدبر، وأنا أعدد شيئًا من هذه المحاسن:

1- إنك لم تعتمد على الجاحظ في إثبات بعض الآيات القرآنية، فإنك راجعت الأصل وأثبته.

---

(1) «قطوف أدبية» ص459.

(2) راجع «قطوف أدبية» ص459- 477.

obeikandl.com

2- إني أقدر كل التقدير تعبك الناهك في مراجعتك بعض الآبيات الشعرية ومعرفة نسبتها إلى صاحبها الأصلي، أو إلى أصحابها المختلفين على ما نقلها الرواة.

3- مما أدهشني معرفتك لأصل هذه الكلمة ص244: «وفي بعض كتب الأنبياء: أنَّ الله تبارك وتعالى قال لبني إسرائيل: «يا أولاد الأفاعي»، فعلقت عليها في (ش) أنها من إنجيل متى (3: 7)، فللَّهِ درُّك من محقق مُبرَّز على جميع الأقران، من شيب وشبان!

4- وجدتك تراجع عدة مصادر لمعرفة صحة بعض الروايات لبعض الأبيات، وهذه التحقيقات لا تُعد، فتكاد كل حاشية تزدان بها...

5- ألفيت تحقيقك اللغوي لا يقل بشيء عن استقرائك التاريخي، والبلداني، والشعري، وتراجم الرجال(1).

فرد الأستاذ هارون على نقده فأثنى عليه ثناء بالغًا، ثم قال: «لذلك أستجيزك أن أكشف عن وجه الحق فيما تضمنت رسالتك راجيًا ألا يخطئني الإنصاف كما لم يفارقك، وأن أتَّسم بما اتسمت به من حب الحق وتطلب الحق.

ووجدتك قد قسمت رسالتك أبوابًا، فسأتحدث في كل منها على النظام الذي اصطنعت»(2).

---

(1) «قطوف أدبية» ص478، 479.

(2) «قطوف أدبية» ص482- 483.

ومن رده على أغلاط الطبع، والتي منها ما قال الأب الكرملي «ص 403: (قلى مكانه؛ لأنه كـ«رمى»)»(1).

قال الأستاذ هارون: «ص 403 (قلا مكانه): ليس خطأ في ذاته؛ لأن الفعل واوي يائي، يقال: قلاه يقلوه ويقليه، بمعنى: أبغضه»(2).

ومن أغلاط الضبط، ما قال الأب أنستاس: «وفي ص 445 (صارت لهم خراطيمَ): (لا خراطيمٌ) بالرفع؛ لأن معناها: تحولت الأنف فصارت خراطيمَ»(3).

فقال الأستاذ هارون في رده: «ص 445: (صارت لهم خراطِيمُ): لا وجه لتخطئة هذا الضبط، فمعناه: أصبحت لهم خراطِيمُ، والخرطوم: مقدم الأنف؛ أي: ظهر فيها نتوء، وليس ما يشوب الإعراب، فكلمة (خراطيم) اسم لصار»(4).

ومما أخذ عليه في أغلاط الصرف قول هارون: في ص (69): (26): «كذا جاءا»، قال الأب أنستاس: (والصواب: وكذا جاءا، أو وهكذا جاءا، أو: وجاءا)»(5).

---

(1) «قطوف أدبية» ص460.

(2) «قطوف أدبية» ص483.

(3) «قطوف أدبية» ص461.

(4) «قطوف أدبية» ص483.

(5) «قطوف أدبية» ص462.

فرد هارون قائلًا: «وفي ص 69: 26 (كذا جاءا)، قلتَ بلزوم (الواو) قبل العبارة لتصح، وليس ما يمنع صحة الكلام؛ لأني لم أقصد عطفًا، فما يدعوني إلى إقحام الواو؟!» (1).

ومما أخذ عليه الأب أنستاس في (أوهام في الآراء)؛ أنه قال: «وما جاء عن كعب الأحبار بصدد الحية (ص200)، وعقاب الأرض (201) هو حديث خرافة أيضًا لا يقبله عقل الأطفال فضلًا عن عقل الرجال، ولا أدري كيف لم تعلق عليه شيئًا يبرئ العربَ من هذه التهم، كما علقت على حاشية 8 في ص143 بقولك: «ذلك زعم»(2).

فأجاب عن ذلك الأستاذ هارون قائلًا: «وأما مرويات كعب الأحبار في (200، 201) فإن القارئ الذي تحدثه نفسه بقراءة كتاب الحيوان، ليس يفتقر إلى أعلام تنصب له في طريقه، كي لا تضلَّ به السبيل حين يقع بصره على هذه المرويات، ذات الشهرة الخاصة»(3).

ولنأخذ نموذجًا مما أخذه عليه فيما غمض عليه تحقيقه، يقول الأب أنستاس: «وجاء في ش ص488 في تفسير: «(كأنه شهاب قذف) أي: الكوكب الذي ينقض (على أثر الشيطان بالليل ويقذف به)»، قلنا: ما كان أغناك عن هذه الزيادة الأخيرة الخرافية؛ فالشهب تنقض من غير أن يكون ثم شياطين

---

(1) «قطوف أدبية» ص485.

(2) «قطوف أدبية» ص470.

(3) «قطوف أدبية» ص495.

ولا أبالسة ولا جن؛ إنَّما الشهب من سنن الطبيعة، أفيكتب واحد مثلك مثل هذا القول، ونحن في عصر النور والرقي والتحقيق الدقيق؟! أما كان يمكن أن تقرأ في بعض التآليف الفلكية العصرية ما يقال عن الشهب والنيازك والرجم؟!»(1).

فأجاب هارون عن ذلك بقوله: «(وفي ش ص488 تفسير الشهاب بأنه ينقض على أثر الشيطان بالليل ويقذف به، وهذا تفسير ديني عناه الجاحظ يعرفه عامة المسلمين، وأنا مكلف بتفسير عبارة الجاحظ على النحو الذي عَنَى، فقول الجاحظ: «كأنه شهاب قذف» لا يحتمل غير هذا التأويل، وكان من المستحسن أن تتمهل حضرتك قليلًا فيما حكمت به، فأنا قلت إثر كلامي السابق في حواشي الصفحة: وفي الكتاب: ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾﴾ [الصافات:10]، وأضيف إلى ذلك قوله الله: ﴿وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ [الملك:5]، وقوله: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾﴾ [الجن:8، 9]، وقوله: ﴿لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾﴾ [الصافات:8].

وأما التفسير العلمي الذي يعرفه طلبة الفرق الدنيا من مدارسنا الثانوية بمصر، فإنه لا يتنافى مع هذا التفسير الديني ولا يعارضه، فمع وجود السبب العلمي قد توجد العلة الدينية، ليس في ذلك ريب.

---

(1) «قطوف أدبية» ص471.

وقد جاء في القرآن الكريم في شأن مدينة سدوم: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ مَّنضُودٖ ٨٢﴾ [هود:82]، وجاء في سفر التكوين (19: 24 – 25): «فأمطر الرب على سدوم وعمورة كبريتا ونارًا من عند الرب من السماء، وقلب تلك المدن وكل الدائرة وجميع سكان المدن، ونبات الأرض»؛ فالعلة الدينية لتخريب سدوم هو العقاب الإلهي على إجرام أهلها وشناعة فجورهم، والسبب العلمي الظاهر هو زلزال وانفجار جبل للنار، أمطر أهلها بالحمم والقذائف المهلكة، وقلب أرضهم وديارهم، ونسبة الحجارة إلى الجحيم والسماء إشارة إلى العقوبة الإلهية، وهذا مثل من أمثلة»(1).

وفيما أخذه الأب أنستاس من مقابلة الألفاظ العربية بالكلم الأجنبية، قال: «كثيرًا ما تقابل العربيات بالإنكليزيات، وبغيرها من لغات أهل الغرب، ولا تنبه على اللغة التي تنقل إليها»(2).

فقال الأستاذ هارون: «فاتني حقًّا أن أنسب بعض الكلم الأجنبية إلى لغاتها، وأشكرك على استدراكك لما فاتني من ذلك حق الشكر، وليس ينقضي عجب الناس وعجبي من صدق غيرتك وواسع علمك»(3).

ومما أخذه عليه في ملاحظات شتى: قال الأب أنستاس: «وفي ص 320:

---

(1) «قطوف أدبية» ص497، 498.

(2) «قطوف أدبية» ص471.

(3) «قطوف أدبية» ص498.

فإذا عاد كالحمر... كما يبتلع الجَمْر، وتصحيح العبارة: إذا عاد كالجَمْر... كما يبتلع الحَجَر»(1).

فأجاب عنها هارون قائلًا: «وفي ص 320: فإذا عاد كالحمر.. كما يبتلع الجَمْر، قلتَ: «صحة العبارة: فإذا عاد كالجَمْر... كما يبتلع الحَجَر»، وتصحيح الكلمة الأولى بديهي؛ لأن كلمة (الجمر) تكررت في الصفحة كثيرًا، فهو خطأ مطبعي ظاهر، وأما تصحيحك (الجمر) بكلمة (الحجر)، فلا يسعفك فيه أن تقرأ باقي النص، وفيه «وكنت قلت له: إنَّ الجمر سخيف سريع الانطفاء، إذا لقي الرطوبات. ..»إلخ(2).

4 -نقد الأب أنستاس ماري الكرملي للجزء الخامس من كتاب (الحيوان) للجاحظ، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون:

ذكر الأب أنستاس ماري الكرملي أن من حسنات هذه الطبعة ومزاياها: «أنَّ المعني بطبعه لم يضن بالحواشي على اختلاف أبوابها ومعانيها ومواضيعها، وقد وجه الأنظار مرارًا لا تحصى إلى الأصول التي ورد مناهلها؛ ليعيد صحة الرواية إلى نصابها الذي كانت وضعت في بادئ الأمر، من آيات قرآنية، وأحاديث نبوية، وأخبار تاريخية وتصحيحات علمية، وخرافات دخيلة وموضوعة ومأثورة عن السلف؛ ففاز المحرر بالسهم الأوفى، وبالنصيب الأعلى مما توخى.

---

(1) «قطوف أدبية» ص476.

(2) «قطوف أدبية» ص506.

ومن مزايا هذه النسخة: أنَّ المحرر ضبط جميع الحروف التي تحتاج إلى تشكيل وتدوين وضبط، وربما زاد على الضبط بالعلامات الضبط بالكلام، كل مرة مست الحاجة إلى هذا الأمر...»(1).

ثم ذكر أن من خصائصها أيضًا: «أنَّ المحقق استعمل التنقيط في جميع الأوجه من أنف الديوان إلى أخمصه، ولم يخالف قواعده في عبارة واحدة، حتى في الحواشي، وحتى في أمر زهيد، ذلك ما لم نره في أي تأليف طبع في الغرب، فضلًا عن الشرق في لغة الضاد.

وأعاد طائفة من الكلم إلى مواطنها، تلك الحروف التي يخل حذفها بالمعنى إخلالًا لا يخلو من معرة وسوء عقبى، وقد أسقطها النساخ والوراقون وسيئو النيات، وأرباب الغايات والأهواء، فبذل كل ما في وفاضه من السهام، لكي يصمي صيده، ولا يخفق، فكان ما أراد.

وبذل كل ما في كنانته في تقطيع الموضوعات، وإقامة الدِّبار؛ ليريح القارئ من تسلسل السطور وتتابع الكلم، حتى يبقى المطالع مستريح البصر، ومستجم القوى الفكرية، بأن جعل لتلك الدبار عناوين مختلفة من وضعه، عدا ما كان وضعه المؤلف من نفسه؛ لوجوب هذا الأمر لمن يريد أن يجعل كتابه غذاء للفكر، وراحة للبصر.

وكان بعض كتبة العصر يحذفون من عبارات الجاحظ كلمة «أيضًا» زاعمين أنه لم يستعملها، أما الأستاذ هارون فإنَّه أبقاها في موطنها كل مرة

---

(1) «قطوف أدبية» ص 515.

وردت، ولم يحفل باعتراضات المعترضين؛ لأنّها من أفصح الكلام وأقومه وأقدمه، لورودها في جميع النسخ التي اعتمدها، على اختلاف ناسخيها ووراقيها، وقد عددت منها ثلاثين مرة ثم وقفت»(1).

إلى أن قال: «ما كنّا نتمنى أن يكون في هذا الكتاب: كنا نتمنى ما يأتي: أن ترقم كل خمسة أسطر برقم، حتى يسهل على القارئ الرجوع إلى عددها من غير أن يعدها كل مرة...

نقل المحرر بعض عبارات إفرنجية تفسيرًا لبعض الكلم العربية نقلًا عن الأجانب، وكان يحسن به أن يترجمها إلى العربية؛ ليستفيد منها من لا يفهم الإفرنجية كما جاء في الحاشية 1 من ص 351، وح7، ص 468»(2).

وقد أجاب عن هذا المأخذ الأستاذ هارون بقوله: «أما ما جاء في الموضع الأول وهو:... astone، فقد أثبتُّ ترجمته قبله، وهي: «المينا حجر يشبه اللَّازَوَرْد تزخرف به الفضة».

وأما ما جاء في ص 468 فهو:... aprivy، فقد أثبت تفسيره قبل: «هو الكنيف الذي يكون مشرفًا على سطح بقناة من الأرض»(3).

ثم ذكر الأب أنستاس فيما كان يتمنى أن يكون في الكتاب قوله: «كثيرًا ما استعمل المحرر ألفاظًا كنا نتمنى أن يعدل عنها إلى ما اشتهر اتخاذها عند

---

(1) «قطوف أدبية» ص516، 517.

(2) «قطوف أدبية» ص517.

(3) «قطوف أدبية» ص535، 536.

الأدباء، فإنه استعمل (التنبيه) في مكان (الحاشية)»(1).

فأجاب الأستاذ هارون: «أخذ عليَّ حضرته استعمال (التنبيه) مكان (الحاشية)، مع أنّ كلمة التنبيه أعرق في الاستعمال من الحاشية، وأوسع مدلولًا، وقد عرف من مؤلفات الأقدمين «التنبيه» لأبي عبيد البكري على أمالي القالي، و«التنبيهات على أغاليط الرواة» لعلي بن حمزة البصري، وهو حواشٍ وتعليقات لبعض كتب اللغة، وهذا نحو ما أنا بسبيله من إخراج مكتبة الجاحظ»(2).

ومما أخذه الأب أنستاس على الأستاذ هارون أنه في (ح2 من ص 95 يقول: «فذا توفي حوالي سنة 337». يقول: «وقد استعمل المحرر (حوالي) بمعنى نحو، وقد أكثر أرباب الصحف في هذا العهد من استعمال هذا اللفظ بهذا المعنى، وقد قلنا مرارًا، إنّ الفصحاء من الكتبة لم يعرفوها، وربما قالوا في مكانها: في حدود سنة كذا»(3).

فأجاب الأستاذ هارون على هذه الكلمة التي أنكرها الأستاذ الأب، وقال: «إنّ الفصحاء من الكتبة لم يعرفوها، وليست هذه بحجة قاطعة في نفي صحة هذا الاستعمال؛ فإنّ فصحاء الكتبة الأقدمين لم يعرفوا كثيرًا من العبارات التي نتداولها اليوم، ونديرها على المجاز والاستعارة والتمثيل، أفيمنع ذلك صحة تلك العبارات؟!

---

(1) «قطوف أدبية» ص517.

(2) «قطوف أدبية» ص536.

(3) «قطوف أدبية» ص519.

وفي اللسان: «رأيت الناس حواله وحواليه، وحوله وحوليه»، فهذه الألفاظ أخوات يجعل أحدها في مكان صاحبه»(1).

كانت هذه نماذج يسيرة لانتقادات الأب أنستاس الكرملي والتي وجهها لتحقيق الأستاذ هارون للجزء الرابع والخامس من كتاب الحيوان للجاحظ.

5 - نقد الأستاذ حمد الجاسر تحقيق الأستاذ هارون لكتاب «أسماء جبال تهامة وسكانها» لعرام بن الأصبغ السلمي:

انتقد الأستاذ حمد الجاسر الأستاذ هارون انتقادا شديدًا، فقال: «لم يشر الأستاذ عبد السلام إلى أنّ العلامة الميمني نشر هذه الرسالة، والأمانة العلمية والاعتراف لكل ذي حق بحقه يقضيان بعدم إخفاء مجهودات هذا المحقق، الذي لا يجهل باحث في الأدب العربي ما له من أيادٍ في سبيل تحقيق كثير من الكتب الأدبية، ولا ينكر ما له من فضل وعلم»(2).

فعلَّق الأستاذ هارون في الحاشية بقوله: «كيف يتفق هذا مع ما نقله الأستاذ من قولي في مقدمة هذا المقال؟(3).

يعني قوله في مقدمة المجموعة الثانية من نوادر المخطوطات (ص 116): «كنت قد اعتزمت أن أنشر في هذه المجموعة كتاب عرام بن الأصبع السلمي في أسماء جبال تهامة، ولكن علمت أنّ العلامة عبد العزيز الميمني

---

(1) «قطوف أدبية» ص 538.

(2) «قطوف أدبية» ص558.

(3) «قطوف أدبية» ص558.

الراجكوتي قد قام بنشر هذا الكتاب، فآثرت أن أؤجل صنعه إلى أن أطلع على نسخته»(1).

وقال الأستاذ هارون في الحاشية: «أما السر في إخفائي مجهود هذا المحقق كما زعم الشيخ؛ فهو أني لم أكن رأيت هذا المجهود بعد، فكيف أظهر شيئًا لا يزال عندي في ضمير الغيب؟! وكيف يقال: إني أخفيت ما لم يظهر لي بعد؟! وأما السر في عدم اطلاعي على نسخة الميمني التي اجتلبها الأستاذ رشاد عبد المطلب من الهند، فقد أفصح عنه الشيخ نفسه بقوله في هذا المقال: «وقد تكرم فأعارني نسخة من النسخ التي طبعها الأستاذ الميمني»؛ لذلك لم تقع إليّ هذه النسخة التي احتجزها الأستاذ الجاسر، ويئست من الاطلاع عليها إلا يوم 11 من شوال من سنتنا هذه، كما أسلفت القول»(2).

وفي نهاية المقال قال الأستاذ حمد الجاسر: «وهذا ما رأيت إيراده مما لاحظته على هذه الرسالة التي قام بتحقيقها السيد عبد السلام محمد هارون الأستاذ المساعد بجامعة القاهرة، ولا أريد أن أغمطه حقه أو أقلل من عمله، فهو أجل من أن ينكر فضله، وأنا أربأ بنفسي عن الاتصاف بصفة سيئة، ولكنني أردت المشاركة في إبراز هذه الرسالة إبرازًا يجعل النفع بها تامًّا، وقد قام الأستاذ في هذا السبيل قيامًا مشكورًا فرجع إلى 32 كتابًا من المراجع العامة، ووضع للرسالة فهارس شاملة لأسماء المواضع وللأعلام وللقبائل

---

(1) «قطوف أدبية» ص555.

(2) انظر «قطوف أدبية» ص558.

وللنبات، وللحيوان، وللقوافي، وللغة، وزينها بكثير من الحواشي المفيدة وشكل أسماء المواضع فجاء عمله في هذه الرسالة، كعلمه في غيرها من الكتب الكثيرة التي حققها مفيدًا نافعًا»(1).

(1) «قطوف أدبية» ص561.

obeikandl.com

المبحث التاسع: ثناء أصدقاء الأستاذ هارون عليه

سبق وأن نَوَّهنا بالعصر الذَّهبي الذي كان يعيش فيه محققنا الكبير العَلَّامة عبد السلام هارون، ومن البديهي أن يكون أصدقاؤه من خيرة الأدباء والكتاب والمحققين والعلماء العاملين، وأن يكون التناصح والتواصي بينهم قائمًا بما يعود على الأدب والعلم بكل نفع وخير، وأن يشدوا من أزر من يقوم بعمل كبير تنوء به الرجال الأشداء، دفعًا له للمضي قدمًا في هذا السبيل، لا لغرض آخر، يتعفف عنه هؤلاء العلماء.

ومن ذلك ما قاله الأستاذ عبد المنعم خلاف في تقديمه لكتاب الحيوان للجاحظ، بتحقيق وشرح عبد السلام هارون: «... فنظرة واحدة إلى صفحة من صفحات الكتاب بصلبها وهامشها تقف القارئ مباشرة على مقدار الجهد العنيف الذي بذله الأستاذ الصبور محقق الكتاب: في ضبط الألفاظ وشرحها، وفي مقابلة النسخ القديمة التي اعتراها كثير من التصحيف والتحريف، وفي أمانته وحرصه على استئذان القارئ فيما أثبت أو نفى من أوضاع الكتاب وكلماته وتوجيهاته؛ مع تواضع جميل يُعرف في طبعه، كما يعرف في قوله من تقديم الكتاب: «وأما أنا فلست بمكان من يدعي العصمة أو يخال السلامة؛

فليس يكون ذلك إلا لمن ذهب عن نفسه، وتعلق بالباطل»(1).

وما قاله الأستاذ محمد فهمي عبد اللطيف المحرر بالأخبار في مقال له بعنوان: «تعقيبات»، والذي تحدث فيه عن مكتبة الجاحظ، وفي نهايته قال: «إنَّ هذا الذي ينهض به الأستاذ هارون لعمل تنوء به الجماعة، ولو نهضت به جامعة أو جماعة لحسبته من مفاخرها الخالدة، ولكنه عمل ينهض به فرد مخلص للعلم، وهو صامت صابر، قانع بأنه يؤدي واجبه العلمي، ثم هو لا يظفر من جامعاتنا وهيئاتنا العلمية بكلمة تقدير أو شكر...»(2).

(1) «قطوف أدبية» ص 568.

(2) «قطوف أدبية» ص571.

obeikandl.com

المبحث العاشر: من أقواله الذهبية

وردت في ثنايا كتاب «قطوف أدبية» كلمات تستحق أن تكتب بماء الذهب، بل هي أغلى من الذهب، وأعطر من الورود؛ فأردت أن أقطف من خلال كلامه تلك الورود النضرة التي تنمُّ عن كبير الخبرة، وما كان يتمتع به من ريادة عظيمة في هذا المجال، ولا أنكر أن كلامه كله ذهبي، يحمل الكثير والكثير من المعاني الجليلة القيمة، ولكن ألتقط هذه الجمل اختصارًا؛ لأعطيك نماذج فقط، ومنها:

- «أمانة الأداء فوق جمال الأداء»(1).

- «فن التحقيق من الفنون الجمالية الأدبية»(2).

- «تحقيق نصوص التراث محتاج إلى مصابرة ومثابرة، وإلى يقظة وانتباه عظيمين وإلى سخاء في الجهد الذي لا يضن على الكلمة الواحدة بيوم واحد، أو أيام معدودات»(3).

---

(1) «قطوف أدبية» ص14.

(2) «قطوف أدبية» ص91.

(3) «قطوف أدبية» ص28.

- «ليس إحياء التراث مقصورًا على إشاعته التقليدية بنشر كتبه وتحقيقها، ولكنه يشمل مع ذلك إذاعة نصوصه، واستخدامها في غضون البحوث والتعليقات»(1).

- «الصلة الوثيقة الواسعة بالتراث شرط ضروري لمن يتصدى للجهاد في هذا الميدان»(2).

- وفي بيان لمعنى التحقيق قال: «الذي اتفق عليه المحققون من ذلك: أن يؤدى متن الكتاب أداء صادقًا، كما وضعه مؤلفه، كمًّا وكيفًا بقدر الإمكان»(3).

- «المهم بصفة عامة أن تخرج لنا النصوص التراثية في صورة أقرب ما تكون إلى الصحة، وفي ثوب مناسب من مجاراة العصر، وعلى وجه تحقق به أقصى فائدة يحصل عليها القارئ والباحث عند دراسته لهذا المخطوط»(4).

- «تحقيق متن الكتاب أمر جليل يحتاج من الجهد والعناية إلى أكثر مما يحتاج إليه التأليف»(5).

ويبين هارون أهمية الفهارس؛ فيقول: «لعل أشنع ما يقع في هذا الفن أن

---

(1) «قطوف أدبية» ص74.

(2) «قطوف أدبية» ص90.

(3) «قطوف أدبية» ص 13.

(4) «قطوف أدبية» ص 92.

(5) «قطوف أدبية» ص14.

obeikandl.com

يخرج الكتاب مجردًا من الفهارس الفنية، أو توضع له فهارس غير ذات جدوى»(1).

- «ليس تحقيق المتن تحسينًا أو تصحيحًا، وإنّما هو أمانة الأداء التي تقتضيها أمانة التاريخ»(2).

- «الحق وحده يبقى، وتفنى الزخارف والأباطيل»(3).

- أعتقد أنّ التراث الفكري بالنسبة إلى أي إنسان كان يعد بمثابة المهد الأول لتفكيره ولصوغ نفسه»(4).

- «إنّ الناشر الذي يستطيع أن يخرج كتابًا مبرأ من العيب، سليمًا من الخطأ لم يُخلق بعدُ»(5).

---

(1) «قطوف أدبية» ص 91.

(2) «قطوف أدبية» ص 13.

(3) «قطوف أدبية» ص535.

(4) «قطوف أدبية» ص89.

(5) «قطوف أدبية» ص284.

obeikandl.com

فهرس الموضوعات

المقدمة.....5

المبحث الأول: ترجمة العلامة عبد السلام هارون رَحِمَهُ ٱللَّهُ.....8

المولد والنشأة.....8

الوظائف العلمية.....9

النشاط العلمي.....9

وفاته.....13

من مصادر الترجمة.....13

سبب إعداد هارون لهذا السفر الجليل «قطوف أدبية».....14

الامتداد الزمني لبحوثه ومقالاته وإسهاماته العلمية.....15

المبحث الثاني: تعليم الأستاذ هارون وثقافته.....23

المبحث الثالث: تقليب كلمة (تراث) مبنى ومعنى.....31

المبحث الرابع: استنباط منهجه في التحقيق.....34

المبحث الخامس: أعمال المستشرقين، ورأيه فيهم.....44

المبحث السادس: صنيع أحمد زكي باشا.....53

obeikandl.com

المبحث السابع: نقد هارون لأعمال غيره وردهم عليه.....55

نقد هارون لصنيع عزام في تحقيقه لكتاب (كليلة ودمنة).....55

رد الأستاذ عزام على نقد الأستاذ هارون.....58

نقد الأستاذ هارون لمجموع رسائل الجاحظ الذي نشره باول كراوس، ومحمد طه الحاجري.....59

نقده لمجلة الأديب (العدد الخاص بأبي العلاء).....63

نقده لـ«قواعد الهرموني»: علم توافق الأصوات.....64

نقده لكتاب (الهوامل والشوامل) لأبي حيان ومسكويه، نشرة الأستاذين: الدكتور أحمد أمين بك، والسيد أحمد صقر.....65

نقده ديوان الشريف المرتضي تحقيق وشرح الأستاذ رشيد الصفار المحامي.....67

نقده تحقيق كتاب «التمثيل والمحاضرة» للثعالبي، تحقيق الأستاذ الدكتور عبد الفتاح الحلو.....69

نقده تحقيق الأستاذ حسن كامل الصيرفي لديوان البحتري.....69

ردُّ الأستاذ حسن كامل الصيرفي على الأستاذ هارون فيما انتقده عليه (حول ديوان البحتري).....74

المبحث الثامن: ناقدو هارون ورده عليهم.....75

1- رده على نقد الأستاذ صلاح الدين المنجد لكتابه: «تحقيق النصوص ونشرها».....75

obeikandl.com

2- رده على الأستاذ حسن السندوبي في نقده لتحقيق كتاب الحيوان للجاحظ.....76

3- نقد الأب أنستاس ماري الكرملي تحقيق هارون الجزء الرابع من كتاب «الحيوان»، ورد هارون عليه.....78

4- نقد الأب أنستاس ماري الكرملي للجزء الخامس من كتاب (الحيوان) للجاحظ، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون.....85

5- نقد الأستاذ حمد الجاسر تحقيق الأستاذ هارون لكتاب «أسماء جبال تهامة وسكانها» لعرام بن الأصبغ السلمي.....89

المبحث التاسع: ثناء أصدقاء الأستاذ هارون عليه.....92

المبحث العاشر: من أقواله الذهبية.....94

ثبت الموضوعات.....97

obeikandl.com